المحرم سنة ١٣٧٤

١٢٤

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم



مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤
ثمن النسخة ٢٠ ملليما

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

الجزء الأول - القاهرة فى غرة المحرم ١٣٧٤ - ٣٠ أغسطس ١٩٥٤ - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم على إقامة الحق والعمل به

وعلى الدعوة إلى الخير والأنس به

وبعد - فإن من أسعد أوقات من يتوجه بقلبه إلى قلوب قرائه أن يستأنف الصلة بهم بعد افتراق . وكتاب هذه المجلة وقراؤها تتجاوب قلوبهم على صفحاتها حول إقامة الحق والعمل به، والدعوة إلى الخير والأنس به ، لأن الأزهر قبة الإسلام ، والإسلام جماع الحق والخير ، ومجلة الأزهر لسانهما الناطق بدعوتهما . فإذا عدنا وعاد قراؤنا - بعد انقضاء ربع قرن على هذه المجلة ، وابتداء ربع آخر منه - إلى استقبال عام جديد من حياتها ، كانت هذه العودة منا ومنهم إلى التحدث بدعوة الإسلام ، وحبذا الحديث ، وحبذا ما يدور عليه ، والعود أحمد .

وكانت مجلة الأزهر فى الربع الأول من القرن الأول لحياتها تطلع على قرائها مع هلال كل شهر عربى ، وقد شعرنا بأن المدة تطول بيننا وبين القراء فى هذه الفترة ، ومن الخير أن تكون صلتنا بهم أقرب ، ووصول المجلة إليهم أسرع ، لذلك رأينا أن تكون مجلة الأزهر بين أيدى قرائها مرتين فى الشهر لا مرة واحدة . وعسى أن يقع ذلك منهم موقع الرضا ، ما دمنا فى الحالتين متوخين رضا الله عز وجل ، والله يتولى المؤمنين ؟

المجلة

بناء كياننا النفسى

بعد الاتفاقية الجديدة

لما استهل شهر ذى الحجة من العام المنصرم ، انتحى صديق الدكتور عبدالوهاب عزام ناحية من دار السفارة المصرية فى مدينة كراتشى ، وأخذ يستعرض فى ذهنه حساب السنة فى تقدم الأوطان الإسلامية نحو أهدافها ، أو انحرافها عنها . ثم وقف بفكره وقفة تجاه وادى النيل ، ناظراً إليه من صفحة الأحداث الخلقية والإجرامية فى جريدة الأهرام ، فهاله ألا يخلو عدد منها من خبر يقرأه بعض الناس تشوقاً وتلهياً كما تقرأ القصص ، ويقف عليه المتأمل مكتئباً مرتاعا يصله بما وراءه من أسباب ، ويجمعه إلى ما يشبهه من أخبار ، فيرى أمراً هائلا ، وداء عضالا ، جديراً أن تجتمع الأمة على النظر فيه ومداواته ، كأمر أولئك الشبان من طلبة العلم الذين قتلوا صاحباً لهم وقطعوا جثته ، وهلم جرا .

وبينما كان البريد يسير برسالة الدكتور عبد الوهاب عزام فيما بين كراتشى والقاهرة ، كان الأستاذ أحمد محمد خليفة أستاذ علم الإجرام بكلية الحقوق يفكر فى مثل ذلك ويقول : أصبح بيناً ومزعجاً معاً أن هناك ظاهرة حديثة ألمت بالمجتمع المصرى ، تلك هى أن عدداً أكبر من الطلبة قد انزلق إلى هوة الجريمة ، فماذا نحن صانعون لكى نصد لطماتها العنيفة ؟ .

ومما يدل على أن هذين التفكيرين صدرا عن وحى واحد من تطورنا الاجتماعى ، أن أحدهما كان وليد التفكير تحت سماء باكستان ، وأن الآخر انبعث من داخل الأفق المصرى وقد نشرا فى عددين متتابعين من الأهرام . ومن نفس العدد الذى نشر فيه مقال الدكتور عبد الوهاب عزام سمعنا صيحة ثالثة تدوى فى صفحة الأهرام الأولى من أحد كبار خبرائنا فى السياسة الخارجية ، منبها العلماء والمثقفين وأفذاذ المسئولين عن التوجيه الخلقى والفكرى إلى أن الاتفاقية الأخيرة بين مصر وبريطانيا لتسوية مشكلة قناة السويس قد أكسبت مصر شخصية ذاتية وشخصية دولية من الطراز الأول ، وأن هذا الاتفاق يقتضى من مصر أن تضاعف جهودها فى بناء كيانها الروحى والفكرى والمادى . وأن مصر المتجددة الآن قد

حلت علينا ـ فى الحيز العربى ، والحيز الإسلامى ، والإفريقى ، والإفريقى الأسيوى ، والحيز العالمى ـ فى كل حيز من أولئك ، قد حلت على مصر واجبات جديدة حلولا أعمق وأقوى مما كان فى أى وقت مضى ، فلا بد من « تحضير أنفسنا » لكل هذه الواجبات بسرعة ، وقوة ، وبدون تلفت أو تردد .

ولكن كيف ، وبماذا ، نستطيع « تحضير أنفسنا » لكل هذه الواجبات ؟ ومن الذى يتولى ذلك من أبنائنا رواد المدارس الذين سيكونون رجال المستقبل القريب ؟ وكيف نطهر مدارسنا من العدوى المخيفة التى بدأت تسرى إليها ، وقد اعترف أستاذ علم الإجرام بكلية الحقوق أن عدداً أكبر من الطلبة قد انزلق إلى هذه الهوة ؟

يقول الاستاذ أحمد محمد خليفة : إن الرأى فى تعليل هذه الظاهرة قد تشعب إلى فريق يلقى اللوم على سياسة التوسع فى التعليم ، حتى كان من نتيجتها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا فى أوساط أكثر منهم اقتدارا وثراء ، فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التى صار يتطلبها مستواهم الجديد ، فاندفعوا إلى الحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع . وفريق يبرىء سياسة التوسع فى التعليم ، ويتهم ظروفا أخرى اجتماعية وتربوية . وقد ضم الاستاذ إلى ذلك عنصراً آخر مهما وهو اشتداد ضغط الإغراء الجنسى ومؤثراته على الشباب فى الوقت الحاضر ، ومنها مظاهر التبرج التى جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين ، ويخطرن أكثر مما يمشين . والأشرطة السينمائية زادت الطين بلة بما تعرض على أنظار الشباب من مشاهد خلابة تسخطه على حياته الخاصة . ولون معين من الصحف والمجلات تزوده بوقود الخيال ، وتحكى له قصص المتعة ، وتوحى إليه — فى صراحة أو مواربة — بالانطلاق والتحلل والرضاء الجسدى . وفى هذه الدوامة الهائلة التى تغذيها المدنية الحديثة يفقد الشباب توازنه ويتبلد تفكيره ، مما يعجزه عن العمل ، ويقعده عن الإنتاج ، فلا يعود إلا عبداً مسوقاً للشهوات ، تدفعه إلى الاعتداءات الجنسية ، وإلى نشدان المال بأى وسيلة ، بما فى ذلك السرقة والاحتيال والقتل .

إن الداء أظهر من أن يخفى على أحد ، وإنه لداء عضال ، وأعراضه فى ازدياد . ولكن ما هو السبيل إلى معالجته ؟

يتساءل أستاذ كلية الحقوق : هل معنى ذلك أن سياسة التوسع فى التعليم سياسة خاطئة يجب العدول عنها ؟ وأجاب بأن التوسع فى التعليم إذا كان قد تولدت عنه الجرائم فى مصر ، فإن العلاج لا يكون فى الكف عن التعليم ، ولكن فى رفع المستوى الاقتصادى للشعب إلى الحد الذى لا يجعل التعليم سبباً فى « هزة نفسية » تصيب التلميذ باضطراره إلى مواجهة ارتفاع مفاجئ فى حاجاته ومطالبه .

ومعنى هذا أن من الضرورى الصبر على هذه الظاهرة بجميع أعراضها ونتائجها التى ذكرها الأستاذ أحمد محمد خليفة إلى أن تصير طبقات الشعب الدنيا فى مستوى اقتصادى أرفع فيصير التلاميذ من أبناء تلك الطبقات أقدر على ارتداء ما يشتهونه من الملابس وارتياد ما يحبون أن يرتادوه من الملاهى ، ويزول أو يقل من نفوسهم « الشعور بالحاجة النسبية » ، ومتى تم هذا ثم زالت أو ضعفت « بواعث الإغراء الجنسى » بقدرة قادر ، زال السببان اللذان رتب عليهما ظاهرة الإجرام فى الطلبة .

أما الدكتور عبد الوهاب عزام فكان أوسع أفقا وأبعد نظراً إذ قال : إن مثلنا كمثل صاحب المزرعة يكثر فيها الشوك والنجيل ، فيقلعها جاهدا ، ولا يقلب الأرض ليستأصل جذورها وبذورها ، وكلما جد فى القلع جد الشوك والنجيل فى النبات .

أو كالذى به داء باطن له على الجلد بثور ، فهو يدهن بثوره كل يوم ، والمرض دائم ، والداء مستشر .

ينبغى أن نبحث عن سبب الجريمة فى نفس المجرم ، وعن علة نفسه فى نظام الجماعة التى نشأته ، والبيئة التى يعيش فيها :

فى البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة . هذه الأماكن مغارس (مشاتل) للجرائم لا بد أن نعنى بها ، ولن ينفعنا سن القوانين الزاجرة والإكثار من الشرط والمحاكم والسجون . ولن يجدينا إلا أن نتعرف أسباب الجنايات ونلتمسها فى الأنفس المريضة والجماعات المعتلة ، وفى الأحوال التى تضرب الناس بعضهم ببعض .

بناء كياننا النفسى

ويقول الدكتور عزام : إن أعظم ما على حكومة الثورة من تكاليف هو إصلاح الأنفس ، والطب لهذه الأدواء الدخيلة ، وتمكين الأخلاق القويمة التى هى عماد كل إصلاح ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وبعد فالحديث عن الأوف والضماد أخطر من أن نحصره فى الجريمة ووصول عدواها إلى الطلبة . إن الجرائم ـ سواء كانت من الطلبة أو من غيرهم ـ تعد بوادر ونوادر على كل حال ، مهما كثر حصاها فى أحداثنا اليومية . لكن مرض الأنفس هو المرض المزمن والدائم فى كل ما يقوم على أنانياتها ، وعلى سوء التعامل بين الناس ، وعلى إيثار المرء مصلحة نفسه ـ بغير حق ـ على مصلحة غيره من مواطن أو وطن . إن مرض الأنفس فى هذا الباب الواسع هو مرض الوطن ، وإذا عولج وزال من أهله كانت الجرائم فى الطلبة وغير الطلبة تبعا له فى الزوال إن شاء الله .

نحن نعانى الآن أمراضا من أمراض النفس ورثناها عن بضعة عصور قضيناها فى الذهول القومى والتبلد الاجتماعى ، فأسلمتنا تلك الأمراض إلى مخالب الاستعمار فى إبان قوته وجبروته . وقد سهر الاستعمار لتكوين كياننا النفسى فى مجتمعنا العصرى على أسس تضمن له استمرار ضعفنا ، فرسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التى اقتصر فيها على التعليم الشكلى دون التوجيه النفسى ، وكان الغرض من المدرسة — ولا يزال — تخريج الموظف الآلى ، لا تخريج رجل العلم المؤمن بعلمه ، ورجل العمل الكادح الدائب المخلص لعمله . وقد حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات السراة وجماهير العامة بما أقامه — أو شجع على إقامته — من الأندية والملاهى والحانات ودور المقامرة وأسواق الدعارة ، وكانت هذه المرافق كلها محمية بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية . وتطورت الحال فى الصحافة ، فبعد أن كانت صحافتنا — أيام المؤيد واللواء — أداة إرشاد ترى من واجبها أن تأخذ بيد الشعب لتنهض بمستواه القومى والملى والعقلى والثقافى ، تحولت بين الحربين وبعد الحربين إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم من صور لحوم وقصص غرام ووسائل متعة وعناوين خداعة وبما تقوم به من تشجيع للملاهى والسينما الماجنة وتمجيد لاعبيها ولاعباتها وسائر ما شكاه أستاذ علم الجريمة فى كلية الحقوق . والسينما نفسها كان يمكن أن تكون أداة تثقيف وتلطيف وتكييف لا تقل نفعا عن المدارس

الصالحة إن لم تكن أجدى من كثير من مدارسنا وأنفع ، لكنها هي الأخرى قلدت الصحافة فى الاستلهام من أهواء الجماهير واستغلال شهواتهم ، فكانت كما نرى كلنا بأعيننا ، وما زلنا واقفين منها موقف المغلوب على أمره ، معتقدين أن التيار أقوى من أن يصد .

لقد كان هذا الشعب وهذا الوطن إلى ما قبل سنتين يتيمين لا يكفلهما نصوح . وقد تغير الموقف الآن ـ كما قال أحد كبار خبرائنا فى السياسة الخارجية ـ فأصبح من الواجب على مصر ، وهى فى سبيل تجديد شخصيتها الذاتية وشخصيتها الدولية ، ولا سيما بعد الاتفاقية الأخيرة ، أن تضاعف جهودها فى بناء كيانها الروحى والفكرى والمادى .

إن الشوك والنجيل لا يستأصلان بالقطع والقلع ، ولا بد من قلب الأرض لاستئصال جذور الشر وبذوره .

يجب تحويل المدرسة من معهد لتحفيظ مواد من العلوم منصوص عليها فى المناهج ، إلى بيئة لتربية رجال المستقبل القريب يؤمنون بالأخلاق ، ويتحلون بالروح العالية ، ويؤثرون مرضاة الله فى تصرفاتهم ، ويوثقون صلتهم بالعربية والعروبة ، وبالإسلام وتاريخه وشعوبه ، ليستقبلوا عهد مصر الجديد فى ميادين تعاونها مع الحيز العربى ، والحيز الإسلامى ، والإفريقى ، والإفريقى الآسيوى ، والحيز العالمى كما دعانا إلى ذلك كبير خبرائنا فى السياسة الخارجية . والمدرسة إذا عنيت عناية عملية بالتربية والأخلاق والتحلى بالروح العالية كانت أسبق إلى وقاية طلابها ـ فقراء وأغنياء ـ من المساعى المبذولة لرفع المستوى الاقتصادى . ولن يسود هذا فى المدرسة المرجوّة إلا إذا انتزع المدرسون من أدمغتهم الفوضى التى وصفها الصاغ أحمد شفيق أبو عوف فى ماقل ودل من الأهرام يوم ١٤ أغسطس ، ووجدوا من وزارة المعارف ، أو ممن هم أقوى من وزارة المعارف ، المؤدب الحازم الذى يسوق الناس بعصاه إلى الصراط المستقيم .

ويجب أن تعود الصحافة إلى اعتبار أنها أداة إرشاد ، فتترفع عن كل ما يتعارض مع رسالتها الحقيقية ـ فى صراحة أو مواربة ـ على حد تعبير الأستاذ أحمد محمد خليفة ـ ولما كان ، فاقد الشىء لا يعطيه ، فإن من أول الشروط التى ينبغى مراعاتها فى منح عضوية

نقابة الصحفيين أن يكون العضو أهلا لهذا الإرشاد ، مؤمنا بالأخلاق والمثل العليا ، متعاونا مع وطنه للنهوض بالمستوى الأدبي .

وأشرطة السينما إن لم تتحول من أداة شر إلى أداة خير كان كل سعي إلى الإصلاح عبثا وضائعاً . وإذا كانت وزارة الشئون الاجتماعية قد رأت في السينما من الشر ما عبرت عنه بالقانون الجديد الذي منع الأحداث إلى سن السادسة عشرة عن غشيان هذه الدور الشريرة ، فإن في أبناء سن السابعة عشرة إلى الخمسين من هم أحوج إلى هذه الحماية والوقاية من الأطفال الذين ليس لهم ما لهؤلاء من الإدراك المقلد والغرائز المستعدة للتأثر . ونحن لا نريد أن نمنع أحداً عن السينما : لا الأحداث الذين هم دون السادسة عشرة ، ولا غير الأحداث ممن هم أكبر سنا . ولكننا نطالب بتطهير السينما نفسها ، وتحويلها من أداة شر إلى أداة خير ، ثم ليدخلها بعد ذلك كل من شاء .

ومرافق الشيطان وبيوته التي سماها الدكتور عزام (مشاتل) الجريمة كان للاستعمار مصلحة في تشجيعها وحمايتها والحرص على بقائها وزيادة عددها ، أما نحن فأي مصلحة لنا في ذلك ؟ وما الذي يحول بيننا وبين إنقاذ الأمة منها وقد زالت الحماية الأجنبية ولله الحمد ؟ لماذا لا تزول هي أيضا كما زالت تلك الحماية ؟ أنخاف أن يقال عنا إننا رجعيون ؟ إن ضرر هذه المرافق الفاجرة يفتك في كياننا وأموالنا ، ويحول بيننا وبين «تحضير أنفسنا» للواجبات التي يدعونا إليها تجديد شخصيتنا الذاتية وشخصيتنا الدولية ، بل يحول بيننا وبين أن نغير ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا .

نحن منذ سنتين في «ثورة» . وكما أن للثورة جانبها السياسي والإداري والاقتصادي في بناء (كياننا المادي) ، فإن لها جانبها الخلقي والروحي والفكري في بناء (كياننا النفسي) . وقد كوننا الله من مادة ونفس ، ولا يتم صلاح الكيان المادي إلا بإصلاح الكيان النفسي ، وقد آن أوانه ، وأظلنا إبانه ، فإلى العمل الحازم أيها الثائرون ...

محب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ١٧ -

بين الصيام والاحرام(*)

١ - يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
٢ - وأتمـــوا الحج والعمرة لله

ركنان من أركان الإسلام : فى التصديق بهما تمام العقيدة ، وفى أدائهما مظهر الطاعة ، وإذا تمت لإنسان عقيدته ، وتجاوبت مع عقيدته طاعته ، فقد آمن وأسلم .

وتلك هى العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وفى الاستمساك بها عصمة بالله ديناً ودنيا ، وليس بعد العصمة بالله ملاذ ، ولا دونها ملجأ « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

ركنان من أركان الإسلام : حين يأخذ العبد بهما يكون ربانياً ، لا تتحكم فيه المادة ، ولا تستبد به الشهوة ، ولا تتأمر فيه النفس .

بل تتغلب روحانيته فيذكر ربه ويصمد إليه ، ويناجيه ويقبل عليه ، فيكون له من جانب الله توجيه ، ومن توفيق الله تذكرة وتنبيه .

وبذلك يكون قد عرف نفسه معرفة صادقة ، فاستمد لها من فيض الله رعاية ، وسلك بها إلى الله سبيل هداية ، وليس كذلك من نسى الله فأنساه نفسه ، وزج بها وزجت به فى غواية وعماية .

وشتان : بين من يهدى الله فما له من مضل ، وبين من يضلل الله فما له من هاد .

الصيام والحج : ركنان من أركان الإسلام ، ولكن بينهما وشيجة أخرى : نظمتهما معا فى نهج القرآن ، وقاربت بينهما فى الأداء والزمان .

(*) تأخر المقال عن وقته المناسب (قبيل رمضان) لضرورة .

فأنت ترى ـ أولا ـ أن القرآن يتناولهما فى خمس وعشرين آية متوالية من سورة البقرة : من آية ١٨٣ « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ... » إلى آية ٢٠٣ « واذكروا الله فى أيام معدودات » .

وهذا القدر كله فى الصوم والحج ، لم يفصل بينهما فى هذا المقام إلا ما يتصل بهما إجمالا : من حديث الاعتكاف للصائم ، أو مقاتلة المشركين عند المسجد الحرام .

وأنت ترى ـ ثانياً ـ أن زمن الصوم ـ وهو رمضان ـ يعقبه زمن الحج ـ وهو الأشهر المعلومات ... وليس بين العبادتين سوى فترة استجمام ، ريثما تريث فيها المسلم بعد صيامه حتى يأخذ أهبته للحج : إن استطاع وأراد .

فما هى الوشيجة التى جمعت بينهما ذكرا فى القصص ، وقرباً فى الأداء ؟؟

أشهد أن نفحات القرآن تهدى إلى سر ذلك : فنظم القرآن لا يكون عفواً ، وترتيب القصص لا يخلو عن حكمة .

وأنت تعرف أن الصوم تخفيف من المطعم ، وتعفف عن البطنة ، وتنبيه للمشاعر ، ونهضة إلى مناجاة الله فى أنفاس كأنفاس الملائكة الأطهار : لولا أنها من جوف إنسان ... وفى تحرج من الشهوات ، ونقاوة من أدران المعصية : لولا ما يلاحقها من محاولات الشيطان ... وفى تجرد من إسفاف البهيمية ، وترفع فى مقام الإنسانية ، لمن عرف كيف يصوم .

وإن شهراً يقضيه المسلم على حال تشبه حال الملائكة المقربين ، لا يكون هين الشأن فى ميزان العمل ، بل هو عند الله عظيم وعظيم ، فما جزاؤه يا ترى ؟ ؟

تكفل الله بجزائه ، وأجمل مقداره ، وأفسح للعبد طريق الأمل فى تقديره ، وقال على لسان رسوله الصادق : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به) فالأعمال الصالحات كلها مأجورة ، وفى صحائف العباد مسطورة ، ولكن الصوم ارتفع شأنا عن مستواها ، حتى كأنه برز من حساب العبد ، وتمحض لله ، فلا يقابل فقط بالأضعاف من المثوبة التى تقابل بها الحسنات وإن بلغت سبعمائة ضعف . . بل يتجاوز هذه الحدود إلى حيث يدخر الله للصائمين من حبائه وفيض عطائه ... ذلك وعد الله !! والله لا يخلف الميعاد .

وأنت تعرف ـ كذلك ـ أن الحج وثبة بالجسم كله إلى حيث شاء الله من بقاع مكة في زمن معين محدود .

ففيه استيداع للأهل والولد ، واغتراب عن الوطن ، وهجرة لله ورسوله ، بل فيه تجرد من اللباس ، وانصراف عن مظاهر الترف ، وتفرغ للضراعة والتوبة ، ولياذ بالرجاء في عفو الله ، وتجديد للإيمان الخالص ، وتوثيق للعهد مع الله ، ووفاء صادق لذكريات طيبات ، حملها إلينا القرآن عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وفيه تعارف بين الشعوب ، وربط بين القلوب ، وتعاقد على الإخاء والتناصر في غير عصبية : إلا العصبية لكلمة التوحيد التي ينضوي تحتها العجمي والعربي ، ويلتقي في ظلها الفقير والغني . فإذا تجلى مظهر الإسلام في صوم الصائمين، ثم في إحرام المحرمين ، وكانت شعيرة الصوم واحدة حيث كانوا في جنبات الدنيا ، وكانت مواقفهم في الحج متلاقية ، حيث دعاهم أبو الأنبياء إبراهيم في غرة الزمن ، فلبوا وظلوا يلبون دعوته على مر القرون . . .

وإذا كان تجريد النفس من ملاذها ، وكفها عن المباحات ، وحبسها في حظيرة الصوم أشبه بتجريد الجسم من زينته ، وحرمانه من مناعم العيش ، والوقوف به عند التقشف زمناً ما في الحج ، وفي كلا الأمرين تحلل من المادة ، وسمو إلى الروحانية ، فتلك هي الوشيجة التي زاوجت بين الصيام والإحرام في نسق القرآن ، وقاربت بينهما في الزمان . . . وبينهما يكون العبد صاعداً من مرقاة إلى مرقاة ، وليس شيء أطيب من روحانية تتجدد بها أزمنة المناجاة ، وتلطف من شقاوة الدنيا ، وتطفىء من وهج الحياة .

فإذا لقيت ناصباً في دنياه ، مكدوداً في عيشه ، أو رافلا في نعماه ، سادراً في لهوه ، فذكره أن الدنيا في إدبار ، وأن الآخرة في إقبال ، وأن الأولى يكفي لها القليل من رزق حلال مكسوب ، وأن الآخرة لمن طابت حياته في دين غير مشوب . وذكره أن في الصوم وفي الحج . تنبيها إلى هذا لمن تدبر ... وكل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السنة

الجوار الاعظم (١)

الجوار الالهي درجات — للمية الخاصة — المعية العامة — الأسباب لا تلغى — حذر وأسلحة فى أعلى مقامات الجوار — نفحات إلهية — جوار الشيطان سراب

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا ؛ فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ؛ فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟!   رواه الشيخان .

* * *

إذا كان عظم الجوار ، على مقدار عظم الجار ، فلا ريب أن جوار الله عز سلطانه ، أجل جوار وأعظمه ، وأن حماه تعالى شأنه أعز حمى وأكرمه ؛ وأين جوار الخالق أجمعين من جوار الخلاق العظيم ؟ ! بل أين حمى العبيد ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، من حمى الملك المجيد ، الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديراً ، ؟!

* * *

إن ذلك الجوار الأعظم الذى نعنيه ، هو الذى عناه الرسول الأكرم ﷺ ، فى حديثه هذا لصاحبه الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ... وهو الجوار الخاص الذى يختص الله به عباده المقربين ، من النبيين والصديقين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، على درجات لا يحصيها إلا من أحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا ...

(١) كان « الجوار فى الاسلام » الذى اختتمنا بأحاديثه الثلاثة عامنا الغابر خاصا بجوار الأنام ، وأما هذا الجوار الذى نفتتح به عامنا الحاضر ، فانه خاص بجوار ذى الجلال والاكرام ، والعزة التى لا ترام .

وهو جوار المعية الإلهية الخاصة ، والصحبة الربانية المقدسة ، التى حرمها الله على أعدائه ، لأنهم نسوا الله فنسيهم ، وأعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم ، واقرءوا إن شئتم قوله عز جاره : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون » .

* * *

و ثمَّ جوار إلهى آخر ، وهو جوار المعية العامة الشاملة ، معية إحاطته تعالى بخلقه : علما ، وقدرة ، وجزاء ، لاتخفى عليه منهم خافية ، تلك المعية التى يشير إليها قوله جلت قدرته : « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » وينبىء عنها قوله تعالت عظمته : « ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » .

وشتان ما بين الجوارين : فذاك جوار التكريم والتأييد والتسديد ، وهذا جوار المحاسبة والإنذار والتهديد . . .

ولا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يأخذوا فى أسبابه ، وأن يعدوا العدة له ، ما داموا بربهم معتصمين ، وعلى ربهم متوكلين ، فإن الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه أساس هذا الجوار وعماده ، وقد أمر الحكيم العليم الذى ربط الأسباب بالمسببات ، والوسائل بالغايات ، أمر عباده ألا يلغوا هذه الأسباب ، فيلغوا معها حكمته ؛ وألا يغلوا فيها ، فيجحدوا بهذا الغلو مشيئته وقدرته . . . وهذا سيد المتوكلين ، يأخذ مع أول الصديقين ، بكل أسباب النجاة ، فى هجرتهما إلى الله . . . حتى إذا أحس الصديق وقع أقدام الكفار فوق الغار ، ألم وحزن ، وخشى أن يصاب الرسول ﷺ بأذى لايستطيع الصديق أن يدفعه أو يحمله ـ وهو أول من يفتديه بنفسه وماله ـ طمأنه صلوات الله عليه وسلامه بأن الله معهما ، وأنهما اثنان الله ثالثهما ، وقد اعتصما به وحده دون خلقه ، فلو أن السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ، كادوا لهما لجعل لهما من هذا الكيد فرجا ومخرجا . . .

وقد ظاهر صلوات الله عليه فى الحرب بين درعين ، وكان يصلى فى الحرب صلاة الخوف بطائفة بعد طائفة وهم آخذون حذرهم وأسلحتهم ، مع أنهم جميعا فى أعظم الجوار ، وأمنع الحمى .

بل لا يضير هذا الجوار الكريم وأهله أن يكونوا - بجوارحهم لا قلوبهم - فى جوار أحد من الناس وضمانه ، ما دام هذا الجوار سبباً كريماً مشروعاً ، ووسيلة سائغة للخير والهداية . لا جرم أن المجير مع المجار كليهما فى جوار الله حينئذ . . . ولما عاد ﷺ من الطائف لم يستطع دخول مكة - لما علمت قريش من توجهه إلى الطائف يستنصر بأهلها عليهم - إلا بجوار المطعم بن عدى ، وكان جواره هذا يداً حفظها له النبى ﷺ وذكرها بعد موته . . .

* * *

على أنه قد تعرض المتوكلين الصادقين نفحات إلهية تأخـذ بقلوبهم وأنفسهم ، فلا يستطيعون لها مدفعاً ، وهم معذورون إذ ينسون فى هذه الأحوال جميع الأسباب ، ولا يذكرون إلا العزيز الوهاب . . . وقد يأخذون فى الأسباب ثم يرفضونها بكل شمم وإباء ، اعتزازاً ببارئهم وبارىء الأرض والسماء . . . ومن هذا ما وقع للصديق نفسه رضوان الله عليه مع ابن الدغنة لما لقيه وقد أجمع أمره على الهجرة إلى الحبشة . فقال له : إلى أين يا أبا بكر ؟ فقال : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى ! فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج ، ووصفه بما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ أول ما رأى الملك ، وقال لها : لقد خشيت على نفسى . . . وانتهى الحديث بجواره إياه على أن يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته . . . غير أن أبا بكر كان رجلا بكاء لا يملك عينيه ، فأفزع ذلك أشراف قريش ، وسعوا إلى ابن الدغنة أن يسترد جواره أو يسر أبو بكر صلاته وقراءته . . . فرد أبو بكر جوار ابن الدغنة قرير العين بجوار الله عز وجل . . .

غير أن هذه مقامات خاصة محدودة ، لا ينبغى أن يقاس عليها ، ولا أن يدعى أحد إليها . . . ولبسط القول فيها مجال آخر . . .

* * *

وإذا كان جوار الرحمن أعظم الجوار وأكمله ، كان جوار الشيطان بلا ريب أحقر الجوار وأسفله ، فكم زين فى الدنيا ووعد بأنه جار ، فلما جد الجد تبرأ ونكص وولى الأدبار . . . وهو فى الآخرة أشد تبرؤاً ونكوصاً « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه » « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » ؟

طه محمد الساكت

زواج المسلم بالكتابية

— ٣ —

المسئلة الثانية :

إسلام زوج الكتابية وإجماع الفقهاء فيه .

قد تبين فى المسألة السابقة حكم تزوج المسلم بالكتابية ابتداء . أما إذا أسلم الزوج الكتابى وكان قد تزوج كتابية قبل إسلامه ، وبقيت هى على دينها فهى زوجته ، والنكاح بينهما باق كما كان عند جميع الفقهاء فى المذاهب الاربعة وعند الظاهرية والزيدية والإمامية .
ومع أن بعض فقهاء الزيدية والإمامية ذهبوا إلى حرمة تزوج المسلم بالكتابية مخالفين فى ذلك قول الجمهور ، وقد حكوا الخلاف فى ذلك ، واستدلوا على الآراء المختلفة فيه ، فإنهم لم يذكروا خلافا فى بقاء عصمة النكاح فى حالة إسلام زوج الكيتابية ، فدل ذلك على أنه موضع اتفاق ، وأن الخلاف فى المسألة الأولى لا تأثير له فى الثانية ، لضعف الاستدامة عن الابتداء . بل نقل صاحب الجواهر الإجماع عليه كما سيأتى .

مذهب المالكية :

وعند المالكية كما فى الشرح الكبير وحواشيه أن الحرة الكتابية يجوز زواجها من المسلم سواء أكانت يهودية أم نصرانية مع الكراهة عند مالك ، وبدونها عند ابن القاسم من أئمة المالكية .

وعلل الإمام الكراهة فى بلد الإسلام بعلل شتى : منها أنها تذهب إلى الكنيسة ويخشى أن تربى ولده على دينها ، وأن تتغذى هى وولدها بما لا يحل فى الإسلام ، ولا يقدر على منعها من ذلك .

وإذا أسلم الزوج الكتابى أو المجوسى وزوجته حرة كتابية بقى النكاح بينهما ، وذلك للترغيب فى الإسلام ، والملحوظ فى ذلك أن للدوام حكم الابتداء ، والمسلم يجوز له التزوج بالكتابية ابتداء فيجوز بقاء . والخلاف وراء ذلك فى أنه مكروه لا يؤثر فى أصل الجواز .

مذهب الحنابلة :

أما عند الحنابلة فقد قال فى المغنى ص ٥٨ ج ٧ : وإذا تزوجها وهما كتابيان فأسلم قبل

الدخول أو بعده فهى زوجته . وإن كانت هى المسلمة قبله وقبل الدخول انفسخ النكاح ولا مهر لها .

فإذا أسلم زوج الكتابية قبل الدخول أو بعده أو أسلما معا فالنكاح باق بحاله سواء أكان زوجها كتابيا أم غير كتابى ، لأن للمسلم أن يبتدىء نكاح كتابية فاستدامته أولى .

ولا خلاف فى هذا بين القائلين بإجازة نكاح الكتابيات .

ويفهم من قوله : (ولا خلاف فى هذا) أن المجيزين لنكاح الكتابيات متفقون على بقاء عقد النكاح فى حالة إسلام الزوج أو إسلامهما معا .

أما المانعون فلم ينقل عنهم خلاف فى ذلك أيضا بل نقل الإجماع على بقاء النكاح عند الإمامية كما سيأتى .

وإذا أسلمت الزوجة الكتابية قبله وقبل الدخول تعجلت الفرقة سواء أكان زوجها كتابيا أم غير كتابى ، إذ لا يجوز لكافر نكاح مسلمة ، قال ابن المنذر : أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم .

وإذا كان إسلامها بعد الدخول فالحكم فيه كالحكم فيما لو أسلم أحد الزوجين الوثنيين على ما تقدم اهـ .

مذهب الحنفية :

وأما عند الحنفية فقد قال السرخسى فى المبسوط ص ٤٥ ج ٥ :

« ولو أسلم الزوج وامرأته من أهل الكتاب بقى النكاح بينهما ولا يتعرض لها لأن ابتداء النكاح صحيح بعد إسلام الرجل فلأن يبقى أولى ، وإن كانت من غير أهل الكتاب فهى امرأته حتى يعرض عليها الإسلام ، فإن أسلمت وإلا فرق القاضى بينهما » .

مذهب الشافعية :

وعند الشافعية إذا أسلم الزوج وامرأته كتابية فهى له ، وإن كانت غير كتابية تقع الفرقة بمجرد الإسلام إن كان قبل الدخول وبعد انقضاء العدة إن كان بعد الدخول اهـ.

مذهب الظاهرية :

وأما عند الظاهرية فقد قال ابن حزم فى المحلى ص ١٤٢ ج ١٠ :

« ما يقع به فسخ النكاح بعد صحته اختلاف الدين إلا فى جهة واحدة وهى أن يسلم الزوج وهى كتابية فإنهما يبقيان على نكاحهما .

وينقسم اختلاف دينهما (فى غير هذا الوجه الذى ذكرنا) خمسة أقسام : —

أحدها أن يسلم هو وهى كافرة غير كتابية . وثانيهما أن تسلم هى وهو كافر كتابى أو غير كتابى ، فلو أسلما معا فهما على نكاحهما إلى أن قال : ففى كل هذه الوجوه ينفسخ نكاحهما سواء أسلم إثر إسلامها أو أسلمت إثر إسلامه) اﻫ .

وهذا صريح فى أن تلك الجهة الواحدة التى استثناها لا خلاف فيها . وهى مسألتنا فى هذا البحث . ولو كان فيها خلاف لذكره كما ذكر خلاف ابن عمر فى المسألة الأولى .

وقال فى المحلى ص ٣١٢ ج ٧ :

وأيما امرأة أسلمت ولها زوج كافر ذمى أو حربى فحين إسلامها انفسخ النكاح بينهما ، فلو أسلما معاً بقيا على نكاحهما ، فإن أسلم هو قبلها فإن كانت كتابية بقيا على نكاحهما أسلمت هى أو لم تسلم . وإن كانت غير كتابية فساعة إسلامه قد انفسخ نكاحها منه . وهو قول عمر وجابر وابن عباس وحماد بن زيد والحكم وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وعدى والحسن البصرى وقتادة والشعبى وغيرهم .

مذهب الزيدية :

وفى الروض النضير ص ٦٦ ج ٤ : عن على عليه السلام فى اليهودى تسلم امرأته أنه إذا أسلما كانا على النكاح ، وإن أسلم هو ولم تسلم هى كانا على النكاح ، وقد أخرجه البيهقى وعبد الرزاق .

وهذا الحديث متفرع على ما قبله من أنه يجوز للمسلم نكاح الكتابية ، وفيه إشارة إلى صورتين :

إحداهما أن يسلما معا فهما على النكاح الأول ، ووجهه الاتفاق فى الملة .

وثانيتهما أن يسلم الزوج دونها فالنكاح باق أيضا بدليل الآية لشمولها ما كان عن نكاح متقدم أو متأخر .

ونقل عن عطاء فى الرجل وامرأته يكونان مشركين فيسلمان قال : يثبت نكاحهما ، فإن أسلم أحدهما قبل الآخر انقطع ما بينهما ، وقال : إن ذلك فى المجوس والمشركين غير أهل الكتاب ، والآية المشار إليها هى قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »

مذهب الإمامية :

وفى الجواهر : وإذا أسلم زوج الكتابية فهو على نكاحه سواء كان قبل الدخول أو بعده بلا خلاف أجده ، بل فى المسالك وغيرها الإجماع عليه بل ولا إشكال على المختار من جواز نكاح المسلم الكتابية ابتداء فضلا عن الاستدامة ، بل وعلى غيره « أى غير المختار وهو حرمة نكاح المسلم الكتابية كما تقدم » لضعف الاستدامة عن الابتداء ، ولما عرفت من الإجماع المعتضد بنفى الخلاف .

ثم قال : ولو أسلمت زوجته قبل الدخول انفسخ العقد ، لحرمة تزويجها بالكافر ولا استدامة . وإن كان إسلامها بعد الدخول وقف الفسخ على انقضاء العدة ، فإن أسلم فهى امرأته ، وإلا ظهر أنها بانت منه بإسلامها .

ثم قال : هذا كله فى إسلام زوج الكتابية وإن لم يكن هو كتابيا . وفى إسلام زوجة الكتابى وإن لم تكن هى كتابية .

وأما إذا كان الزوجان غير كتابيين فالحكم فيهما أن إسلام أحدهما يوجب انفساخ العقد فى الحال إن كان قبل الدخول ، ويوقف على انقضاء العدة إن كان بعده بلا خلاف فى شىء من ذلك اهـ .

ولا يخفى أن الشيعة الإمامية قد اختاروا القول بجواز نكاح المسلم الكتابية ، وعد فقهاؤهم القول بالحرمة غير المختار . ومع اختلافهم فى هذا أجمعوا كما نقله صاحب الجواهر على بقاء النكاح فيما إذا أسلم زوج الكتابية . وقرر صاحب الجواهر أنه لا خلاف فى ذلك ولا إشكال فيه على القولين : المختار وغير المختار .

ومن ذلك لا يصح أن ينسب للإمامية القول بانفصام عقد النكاح عند إسلام زوج الكتابية كما فهمه بعض المعاصرين أو كما أريد منه أن يقول ذلك فأطاع .

* * *

خلاصة البحث :

وخلاصة البحث فى هذه المسألة أن الفقهاء كافة يرون بقاء النكاح على حاله عند إسلام زوج الكتابية ، وأن آية المائدة تشمل النكاح ابتداء واستدامة .

وقد جرى على ذلك فقهاء الإسلام إلى الآن ، ودرجت عليه المحاكم على اختلافها وأيدته الفرامانات والخطوط الهمايونية والأوامر السابقة فى عهد الدولة العثمانية التى كانت لها الولاية على مصر والتى منحت المسيحيين وبعض اليهود امتيازات طائفية . ولم تغير الحكومة المصرية شيئا من ذلك بعد انتهاء سلطان الدولة العثمانية وانتقال سلطتها إلى السلطنة المصرية ، وليس لها أن تمس حكما موضوعيا قضت به الشريعة الإسلامية بلا خلاف فيه .

واستمرت الحكومة المصرية من بعد ذلك إلى الآن على هذا الحكم الإسلامى المجمع عليه ، والله ولى التوفيق ؟

(يتبع)

حسنين محمد مخلوف

فى الحضارة العربية

روى لسان الدين بن الخطيب وزير دولة بنى نصر (التى شيدت قصر الحمراء) أن ثالث ملوك تلك الدولة كان يسهر على أنوار ضخام الشمع ، وكانت تتخذ له من جذوع فى أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل ومضى الهزيع . وإنما فعلوا ذلك لأنه كان يطيل السهر، وقد أصيبت عيناه من ذلك بأذى ، فرأوا أن يلفتوا نظره إلى مواقيت الليل بهذه الطريقة .

عام جديد
خواطر وأحكام

سبحان من يفنى الأعوام ، وهو باق على الدوام . وتتناقص الأيام ، وهو منفرد بالجلال والكمال (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) . وهو القوى القادر ذو السلطان القاهر ، وهو الحكيم الخبير . احتجبت منه الحقيقة وظهرت الآثار ، فبهرت العقول ، وأذهلت البصائر والأبصار . أخبت له المؤمنون ، وجحد به الكافرون . سبحانه لا ينفعه إيمان ، ولا يضره عصيان ، وهو غنى عن عالمى الغيب والعيان .

تنطوى الأعوام وتطوى معها سجلات العباد ، وقليل من يحرص على أن تكون صفحات أعماله كريمة ، يباهى بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .

والأعوام مراحل تنقضى من العمر ، وتتخونه فى سرعة ، يخالها الغافل بطيئة مستطيلة ويغطى على بصره الجهل والشباب حتى يستفيق على نذر من الشيب والهرم ، فيقرع سن الندم ، ويستعرض صحفه ليتدارك ما فرط منه ، ويحاول أن يجبر التقصير وقد تحول المنية دون الأمنية ، فيمضى لا ملجأ له من الله إلا رحمة الله والطمع فى عفوه ورضاه . ولقد قال أبو نواس بعد رحلة فى الجهل والشباب :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمت سرح الطرف حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ... فإذا عصارة كل ذاك أثام

إن الغافل يستطيل العمر ، ويستكثر الأعوام ، ويسوف فى الأعمال ، وينفق من عمره فى سعة ، ويركض جهلا مطية شبابه حتى يهزلها فى الآثام ويضنيها فى الذنوب . أما المؤمن فينفق من أيامه فى رشد وكياسة ، ويعطى حقوق الله فى أيامه ولياليه ، فإذا جاء يوم الحساب فرح بمذخور الربح وموفور الثمار .

ولقد نبه إلى اهتبال فرصة العمر الأنبياء وصالحو المؤمنين . فمن رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه من حديث طويل : « والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير فيهما إلى الآخرة » ، وعن عيسى بن مريم عليه السلام : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » وكان يقول : اعملوا الليل لما خلق الله ، واعملوا النهار لما خلق الله . وعن الحسن رضى الله عنه : اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك . وكذلك ليلتك .

* * *

والعام الإسلامى الهجرى يقبل على المسلمين بذكرياته وبركاته ، وقد جعل الإسلام للشهر الأول منه فضلا خاصا ، وميزه بجملة من الشعائر لم يجعلها لغيره ، ليكون العام مفتتحا بالبركات ، مبنياً على الخيرات ، فتدوم بركته وترجى سلامته . فأوله وهو المحرم من الأشهر الحرم التى فضلت على غيرها من أشهر السنة ، وحرم الله فيها القتال ، وجعل الصيام فيها أفضل من الصيام فى غيرها إلا رمضان . وعن النبى ﷺ : « صوم يوم من الأشهر الحرم أفضل من ثلاثين من غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام » . وجعل للصيام فى المحرم خاصة فضلا على غيره ، لذا كان النبى ﷺ يكثر من الصيام فيه ، فقد روى عنه أنه قال : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » ، وقد صام العاشر منه ، وجعل صيامه سنة ، وعزم على صوم التاسع معه مخالفة لليهود وقال : « لئن عشت إلى قادم لأصومن التاسع والعاشر » . وقد كثرت الأحاديث فى سبب تخصيص اليوم العاشر من المحرم بالصوم وهو المعروف بيوم عاشوراء ، ومجمل ما قيل فيه : أنه يوم تاب فيه قوم من ذنوبهم فتاب الله عليهم . وقيل : إنه اليوم الذى تاب فيه آدم من زلته فقبل الله توبته . وقيل : إنه اليوم الذى نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون ، فكان صيامه شكراً لله على هذه النعمة .

وقد نحل الناس يوم عاشوراء طائفة من الشعائر ليس لها أصل صحيح فى الدين ، فجعلوا للاكتحال والاختضاب والاغتسال فيه فضلا ليس لغيره ، ورووا فى ذلك أحاديث أنكرها العلماء . قال العلامة ابن رجب فى لطائف المعارف : « كل ما ورد فى فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال لا أصل له » . ومما يعتقده العامة فضل الإكثار

من الإنفاق فيه على العيال ، وهو ما يسمونه التوسعة على العيال ، ويجعلون من يوم عاشوراء موسما يخصونه بأطعمة خاصة ، ويستندون فى ذلك على أحاديث تروى فى هذا الشأن ، وهى مما لم يصح عند أهل الحديث . ومما يعتاده بعض أهل المدن اصطناع طعام (العاشوراء) وإهداؤه للأصدقاء والأقرباء .

وهذه عادة إن صح أن يكون لغيرها مما ذكرنا أصل من الدين فهى لا تستند على أساس منه ، ولا ندرى مصدرها من التاريخ الصحيح ، وشأنها شأن كثير من العادات التى تتوارثها الشعوب وتجهل أصولها التاريخية ، ويجعل لها تطاول الزمن مقام المشروعات فى الأديان . ومما قيل فى أصلها أن « نوحا لما خرج من السفينة فى ذلك اليوم شكا من معه إليه من ألم الجوع ، فجمع ما بقى من أزوادهم فكانت حبوبا متفرقة من بر وعدس وغيرهما وطبخ الجميع فى قدر فأكلوا منه وأشبعهم فهو أول طعام طبخ على وجه الأرض بعد الطوفان ، فاتخذه الناس سنة ذلك اليوم » .

ويتصل بالحديث عن شعائر عاشوراء ذلك الشعار الذى اعتاده بعض الطوائف وحرصوا على إحيائه وهو إقامة مآتم فى ذلك اليوم تجديداً لذكرى قتل الحسين فى ذلك اليوم ، وعدم الإفطار من صومه على الماء رمزا لقتله عطشا رضى الله عنه . وقد أنكر العلماء ذلك الشعار وقال العلامة ابن رجب : « إنه عمل من ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا . ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ مصائب الأنبياء وموتهم مأتما ، فكيف بمن دونهم » وقال العلامة ابن العز الحنفى : « إنه لم يصح عن النبى ﷺ فى يوم عاشوراء غير صومه ، وإنما الروافض لما ابتدعوا المآتم وإظهار الحزن يوم عاشوراء لكون الحسين قتل فيه ابتدع جهلة أهل السنة إظهار السرور واتخاذ الحبوب والأطعمة والاكتحال ، ورووا أحاديث موضوعة فى الاكتحال والتوسعة على العيال » .

وقد جزم الحافظ السخاوى فى المقاصد الحسنة بوضع حديث الاكتحال وتبعه غيره منهم ملا على القارى فى كتاب الموضوعات . ونقل الحافظ السيوطى فى الدرر المنتثره عن الحاكم أنه منكر . وقال الجراحى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس قال الحاكم أيضاً : « الاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن النبى ﷺ وهو بدعة » .

ويقترن قدوم العام الهجرى بذكرى أكبر حادث فى تاريخ الإنسانية وهو حادث هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة الذى سيبقى مدى الدهور والأجيال مثلا أعلى للإيمان بالفكرة الصالحة ، واستعذاب الآلام فى سبيل تحقيقها ، وإقناع الجماعة بها ، ومثلا أعلى للإنسان الكامل الذى استجاب لدعوة الحق ، وفنى فيها ، واسترخص لها المال والجاه والأهل والوطن ، وجهد وجاهد حتى تم لها النصر ، وفاءت البشرية المكدودة المضطهدة إلى ظلالها تسترد أنفاسها ، وتستنشق نسائم الحرية والأمن والاستقرار .

نعم ، وسيظل حادث الهجرة وما بذله أبو بكر وعلى والأنصار بالمدينة وما تعرضوا له من خطوب وأهوال مثلا صالحا للمؤمنين بالدعوات فى التضحية والفداء وإنكار الذات ، فقد وهب أولئك أنفسهم وأموالهم فداء للنبي ولدعوة الإسلام ، واستجابوا لرأيه ومشورته دون تخاذل أو مماراة ، وسيبقى قول المقداد بن الأسود للنبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر : « لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكننا نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك » رمزا على ولاء الأصحاب والأنصار للقيادة العاملة والزعامة المخلصة .

إن على المسلمين أن يقفوا عند العام الهجرى وقفة التأمل والحذر ، ووقفة الحساب والمراجعة ، ويوازنوا بين ماضيهم وحاضرهم ، ليستمدوا من ماضيهم عزما ومضاء وقوة ورجاء . وماضيهم حافل بالأمجاد والمآثر والمناقب والمفاخر ، وأعيذهم أن يقفوا منه وقفة الحائرين اليائسين ، ويغفلوا عن حاضرهم ومستقبلهم وما يتطلبان من عمل وجهاد ، وليذكروا سنن دينهم فى العمل والجد ، والعزة والكرامة ، والعدل والحرية ، والتأهب للأحداث والإعداد للأعداء ، وما إلى ذلك من فضائل يقوم بها بناء الأمم وتشاد عليها صروح مجدها ، ليصلوا مجد الحاضر بشرف الغابر ، وليأخذوا مكانهم من التاريخ كما أخذ أسلافهم ، ويكونوا أحقاء بالخلافة أحرياء بالوراثة :

إذا المرء لم يبن افتخاراً لنفسه تضايق عنه ما ابتنته جدوده

ألا وإن الأمل فى يقظة المسلمين وانبعاثهم إلى الخير قد بدت بوادره ، ولاحت فى الأفق بشائره ، وإنا لنرجو أن ينهمل الغيث ويضطرد الإرهاص ، وما بعد الإرهاص إلا الإعجاز .

أبو الوفا المراغى

من ذكريات الهجرة :

الزوجان المهاجران

كلما هل هلال المحرم من كل عام هجرى ، حمل فى نوره الفضى إلى العالم الإسلامى الذكرى العزيزة على كل نفس مجاهدة ، الحبيبة إلى كل قلب مؤمن ، ذكرى أعظم حادث تاريخى عرفته الدنيا ، واتخذه المسلمون مبدأ لتاريخهم المجيد ، ألا وهو الهجرة الكبرى ، هجرة الرسول الأعظم وصحابته من مكة إلى المدينة ، تاركين الأهل والولد ، والمال والوطن ، فارين بدينهم إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكنهم أن يعبدوا الله ، وأن ينشروا دعوة الحق والخير والفضيلة بين عباد الله ، فكان لهم ما أرادوا ، وأبدلهم الله بضعفهم قوة ، وقلتهم كثرة ، وخوفهم أمنا .

وتاريخ الهجرة حافل بالمثل العليا الرائعة التى يقف أمامها المتأمل وقفة الإكبار والإجلال ، لهذه الثلة المؤمنة التى نشرت - بصبرها وكفاحها - دينا قويما ، وأقامت أمة هى خير أمة أخرجت للناس .

ولم تكن هذه المثل العليا من صنع الرجال فحسب ، وإنما صنعها الرجال والنساء على سواء ، وهذا هو سر الإيمان ، فقد صير من القوارير الضعاف بطلات فى باب الكفاح فى سبيل العقيدة والمثل العليا ، مع احتفاظهن بخصائص النساء الكوامل من عفة وحشمة ، وحفاظ لحقوق الله وحق الأزواج .

وأنا الآن بصدد التحدث عن بيت مسلم من البيوتات الإسلامية التى كافحت وجالدت وهاجرت الهجرتين ، وتقبلت بصدر رحب ونفس مطمئنة آلام الغربتين . وهذا البيت - إلى هذا - يعتبر مثالا صالحا لما ينبغى أن تكون عليه البيوت الإسلامية الرشيدة : فالزوجة كانت خير معوان لزوجها على جهاده وكفاحه فى سبيل عقيدته ، وأبت عليها نفسها الكبيرة - وقد نشأت وترعرعت فى بيت كبير من بيوت بنى مخزوم - إلا أن تكون مع

زوجها حيث كان ، تقاسمه الهموم والآلام ؛ والزوج كان المثل الكامل فى حسن العشرة والقيام بحقوق الزوجية ، فلا عجب أن استأثر حبه بقلبها ، ووفت له فى حياته وبعد مماته حق الوفاء.

أما الزوج فهو السيد الجليل أبو سلمة رضى الله عنه ، وأما الزوجة فالسيدة أم سلمة رضى الله عنها ، والتى صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين رضوان الله وسلامه عليهن .

ومن هو أبو سلمة ؟

هو السيد عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى ، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أخا رسول الله ، وأخا سيد الشهداء حمزة من الرضاع : أرضعتهم ثويبة مولاة أبى لهب ؛ أرضعت حمزة ، ثم رسول الله ، ثم أبا سلمة . وبنو مخزوم من البيوتات القرشية التى كانت تتقاسم الشرف فى الجاهلية ، فقد كان فيهم القبة والأعنة [1] ، كما كان فى بنى هاشم السقاية . وإلى جده عبد المطلب انتهت السيادة والرئاسة فى قريش . فالرجل فرع من أصلين كريمين يطاولان السماء بمفاخرهما وشرفهما ، ومن ثمة كانت له همة لا تسامى ، كما كان عيوفا للذلة أو أن يقيم على ضيم .

إسلامه :

كان أبو سلمة رجلا زكى النفس ، طاهر الفطرة ، مجانبا للخنا والرذيلة ، سباقا إلى كل خير وفضيلة . وما أن عرض عليه الصديق الأكبر والداعية الأول أبو بكر رضى الله عنه الإسلام حتى استجاب له ، فهو من السابقين الأولين إلى الإسلام . قال ابن اسحق صاحب المغازى : إنه أسلم بعد عشرة أنفس ، وهى مزية تجعله فى الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن يوم أن أسلم وهو حريص على حضور مجلس رسول الله ﷺ ، يتلقى عنه الكتاب والحكمة وأصول العقيدة الصحيحة ، وله حديث واحد فى الاسترجاع عند المصيبة [2] ، روى الإمام أحمد بسنده عن أم سلمة قالت : « أتانى أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت

[١] القبة كانت تضرب للجيش فيجمع فيها ما يمون به . والأعنة قيادة الخيل فى الحروب .

[٢] البداية والنهاية جزء رابع ص — ٩٠

به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة ثم يقول : اللهم آجرنى فى مصيبتى ، واخلف خيراً منها إلا فعل به ... الحديث » والظاهر أن قلة مروياته لتقدم وفاته ، ولو تأخرت به الحياة لظفرنا من مروياته بشيء غير قليل .

هجرته :

إن النفوس الكبيرة تستهين بكل شيء فى سبيل دينها وعقيدتها ، والقلوب المؤمنة سباقة إلى كل خير دينى أو دنيوى ، والسيد أبو سلمة كان ذا قلب مؤمن ونفس كبيرة ، فلا عجب أن كان من أوائل المهاجرين إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، بل قيل إنه أول من هاجر إليهما . روى ابن أبى عاصم فى الأوائل من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد ... وهو أول من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة »[1] .

وقد صاحبه فى هجرته إلى الحبشة زوجه السيدة أم سلمة ، ومكث هو وزوجه بالحبشة مع القلة من إخوانهم المسلمين متحملين شظف العيش وألم الغربة ، وولد لهما بها بعض الولد حتى نمى إلى المهاجرين بها نبأ مهادنة قريش للمسلمين بسبب إسلام السيد الهمام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فرجعا فيمن رجعوا ، وما أن وصلوا إلى مكة حتى وجدوا أن محاربة قريش للمسلمين قد عادت كما كانت وأشد ، فرجع البعض ، ودخل البعض فى جوار بعض أشراف قريش ، ومن هؤلاء السيد أبو سلمة ، فقد دخل فى جوار خاله أبى طالب . ولما أجاره خاله مشى إليه رجال من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب ، منعت منا ابن أخيك محمدا ، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : هو استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإنى إذا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى . فعز على أبى لهب إحراجهم لأخيه أبى طالب فقال : يا معشر قريش ، لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن أو لنقومن معه فى كل ماقام به حتى يبلغ ما أراد . فخافوا ، وقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة .

الهجرة إلى المدينة :

ولم يمنع أبا سلمة دخوله فى جوار خاله من أن يناله بعض الإيذاء ، حتى لقد فكر فى الرجوع إلى الحبشة ، ثم بلغه أن بالمدينة إخوانا لهم ، فعزم على الهجرة إليها ، ولا سيما

---

[1] الاصابة جزء ثان ص ٣٣٥

وقد أذن رسول الله ﷺ لاصحابه بالخروج إليها لما اشتد بهم الإيذاء ، فكان أول من هاجر إليها من قريش من بنى مخزوم ، وكانت هجرته إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة ، فشد رحله إلى المدينة وبصحبته زوجه السيدة أم سلمة ، وهنالك يبتلى الرجل أشد ابتلاء ، فتمنع منه زوجه ، ويخلع ذراع ولده سلمة ، فما ضعف ولا استكان ، بل سار مهاجراً إلى ربه ، حتى جعل الله له فرجا ومخرجا ، فلحقت به زوجه وولده .

وسأدع السيدة أم سلمة تحدثنا حديث صدق عن هجرة زوجها فتقول :

« لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لى بعيره ، ثم حملنى عليه ، وجعل معى ابنى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره . فلما رأته رجال بنى المغيرة ـ رهطها ـ قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟ فنزعوا خطام البعير من يده ، وأخذونى ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ـ رهطه ـ وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، ففرق بينى وبين ابنى وزوجى ، فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح ـ مكان بمكة ـ فلا أزال أبكى حتى أمسى ـ سنة أو قريبا منها ـ حتى مر بى رجل من بنى عمى فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها . فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ، فرد بنو عبد الأسد إلى ابنى ، فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى فقال : إلى أين يا ابنة أبى أمية ؟ قلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وبنى هذا . فقال : والله ما لك من مترك . فأخذ بخطام البعيرفانطلق معى يهوى بى ، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجر ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى . فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة . فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال :

زوجك فى هذه القرية ، فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت أم سلمة تقول : « ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة [1] » .

وحقيق بنا أن نقف وقفة قصيرة هنا لنسجل للسيد أبى سلمة قوة إيمانه التى سمت على الأهل والولد والمال ، ولنسجل للسيدة أم سلمة حرصها على هجرتها واللحاق بزوجها وتحملها فى سبيل ذلك الآلام ، ولم ترض بالظل الظليل بين قومها وفى وطنها ، وآثرت عليهما رمال الصحراء وهجيرها فى الهجرة إلى الله عز وجل ، ولنسجل للعرب فى شخص السيد عثمان بن طلحة الخلق الكريم والفضائل الإنسانية السامية ، فما كانت المروءة والعفة والشجاعة وحماية الجار والوفاء بالعهود والترفع عن الدنايا إلا بعضا من فضائلهم ومفاخرهم التى أهلتهم لأن يكونوا حملة رسالة الإسلام الأولين ، وأصحاب خير رسل الله أجمعين .

ويخطىء بعض المؤرخين فى تصوير العرب بصورة غير التى امتازوا بها بين الأمم ، ولو نظرنا بعين الإنصاف لوجدنا أن العرب أحفل الشعوب بالفضائل البشرية ، ولأمر ما اختار الله خاتم رسله من العرب ، وجعلهم أهلا لحمل الرسالة ونشرها ، ولعل فيما صنعه عثمان بن طلحة فى جاهليته عبرة ومدكرا لأدعياء الحضارة فى القرن العشرين الذين طالما هتكوا الأعراض تحت ستار التظاهر بالعطف والحنان ، وتسوروا الخدور على الآمنات الغافلات ، واحتالوا فى سبيل الوصول إلى أغراضهم الدنيئة ما وسعتهم الحيلة .

جهاده فى سبيل الإسلام :

لم تكن هجرة السيد أبى سلمة إلا بداية الجهاد فى سبيل الدعوة ، وما أن أذن الله للمسلمين فى الجهاد حتى سارع إليه ، فشهد بدرا وأحدا ، وفيها أصيب بجرح فداواه شهرا حتى برىء ، فلما برىء بعثه رسول الله ﷺ فى المحرم سنة أربع على رأس سرية إلى بنى أسد ، وكانت عدتها مائة وخمسين ، وفيها من خيار المهاجرين والأنصار أمثال أبى عبيدة وسعد ابن أبى وقاص وأسيد بن حضير . فلما انتهوا إلى أرضهم أخذوهم على غرة ، فتفرقوا وتركوا

[1] البداية والنهاية جزء ٣ ص ١٦٩ — ١٧٠ . وعثمان بن طلحة هذا ، أسلم بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معا ودفع إليه رسول الله والى ابن عمه شيبة مفاتيح الكعبة يوم الفتح وأقرها عليهم. وفى شأن عثمان هذا نزل قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) الآية.

نعما كثيرة من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة ، وقفل راجعا إلى المدينة بعد أن أبقى على هيبة المسلمين وسلطانهم فى الأرض ، وخمس الغنيمة فجعل الخمس لله ولرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقسم أربعة أخماسها بين المجاهدين .

ولما عاد إلى المدينة انتقض به جرحه ووافته منيته ، فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، وقد وفى بما عاهد الله عليه . ولما احتضر دخل عليه رسول الله فأغمضه ودعا له بخير قائلا : « اللهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له فى قبره ونور له فيه » وبذلك حظى أبو سلمة بدعوات : كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها ، فرضى الله عنه وأرضاه .

أما الحديث عن السيدة أم سلمة ففى مقال تال إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين



من كلمات خليفة رسول الله أبى بكر الصديق

* أولى الناس بالله أشدهم توليا له .
* الصدق أمانة والكذب خيانة .
* إن عليك من الله عيونا تراك .
* اهدم الكفر بعضه ببعض .
* ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر .
* حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا .

الأشعرى

ومراحل تطوره الفكرى

تفضل السيد رئيس التحرير - مشكوراً - بالتعليق على كتابى (الأشعرى : أبو الحسن) وأسارع فأقدم إليه عميق الشكر على تلك التحية الطيبة التى استقبل بها الكتاب وصاحبه ، فهو فى رأيه « كتاب نفيس متعوب عليه » كما أحمد له تلك المحاولة التى لمس فيها التفرقة بين مراحل ثلاث من مراحل التفكير عند الأشعرى ، فهى محاولة عميقة وصادقة ، ولكنى مع ذلك أختلف معه فى ترتيب هذه المراحل ، فالسيد رئيس التحرير - مسبوقا بمكدونالد وترتين من المستشرقين - يرى أن الأشعرى كان معتزلياً ، ثم ترك مذهب الاعتزال إلى مذهب قريب مما عليه أتباعه من الأشاعرة ، ثم انتقل بعد ذلك فى أخريات حياته إلى مذهب السلف من إمرار صفات الله كما جاءت ، واعتقاد صحتها بلا تأويل ولا تعطيل ، مع التقييد والقطع بعدم المشابهة بين الله وبين خلقه . ولكن الفرق بين السيد رئيس التحرير وبين هؤلاء المستشرقين أن هؤلاء الأخيرين قد ذكروا رأيهم على أنه استنتاج وترجيح ، وربما عللوا هذا التطور فى الأشعرى بظروف إقامته ، فقد كان فى مبدأ تحوله بالبصرة ، وهى بعيدة عن نفوذ الحنابلة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد الخاضعة لنفوذهم .

أما السيد رئيس التحرير فقد ذكر ذلك على أنه حقيقة يجب أن يسلم بها ، بل إن حياة الأشعرى يجب أن تدرس فى رأيه على حسب ما افترضه من تطور ، لتنتهى دراستها بما انتهت به حياة الإمام وما استقر عليه ، « وبذلك يتبين لنا أن الأشعرى شىء ، والأشعرية شىء آخر » .

وفى رأيى - كما ناقشت ذلك فى هذا الكتاب - أن الأشعرى قد مر بمراحل ثلاث حقا ، ولكن هذه المراحل تختلف فى ترتيبها عما افترضه المستشرقون ، وما جزم به السيد رئيس التحرير ، فالأشعرى خرج عن الاعتزال إلى مذهب السلف وهو الطرف المقابل ، ثم استعاد توازنه العقلى بعد ذلك فى مذهبه الوسط الذى يعتبر بحق خير المذاهب فى الإسلام ، لأنه قد حاول المحافظة على العقل والنص معاً .

ورأيى فى ذلك يعتمد كما قلت فى كتابى على حقيقة نفسية ، وأخرى علمية .

أما الحقيقة النفسية فهو ما نشاهده من أنفسنا وما نلمسه من غيرنا من مبالغة في العداء والمهاجمة للرأى الذى نريد التحول عنه فى المرحلة الأولى من مراحل هذا التحول . فالأشعرى - كما قلت - كان يعانى أزمة نفسية وثورة عقلية على المنهج العقلى ، وانقطع بذلك أياما عن المجتمع الذى يعيش فيه ، ثم خرج إلى الناس فى صورة عنيفة مضطربة . وأعلن رفضه لمذهب المعتزلة وطريقتهم ، فمن الطبيعى أو المرجح فى تلك الحالة أن يتشبث الأشعرى - فى شدة - بأذيال المذهب السانى ، وأن يعمل على إرضاء نفسه الثائرة بالارتماء فى أحضان أحمد بن حنبل زعيم السلفية فى رأيه ، حتى إذا زالت تلك الغشية ، وفترت تلك الحرارة قليلا ، فإن الرجل يعود إلى نفسه ليجمع منها ما نشأ عليه من إرضاء العقل ، وما لجأ إليه من احترام النقل فيتم له المذهب الجامع ، أو المذهب الوسط ، الذى حقق عظمته بين رجال الفكر إلى اليوم .

وأما الحقيقة العلمية فتعود إلى دراسة الأشعرى نفسه فى كتابه (الإبانة) الذى يعتبر فيه سلفيا محضا ، وفى كتبه الأخرى التى تمثل رأيه فى صورته الأخيرة - على حسب زعمنا - ككتاب (اللمع) مثلا ، فإننا نجد الأشعرى فى معالجته لموضوع واحد كموضوع الرؤية فى كلا الكتابين يختلف أسلوبا وفكرة ، فهو فى (الإبانة) أكثر حماسا وأشرق بيانا ، ولكنه ضحل التفكير نسبيا ، بينما نجده فى الكتاب الثانى أكثر تنظيما ، وأدنى إلى العمق والتعقيد والإجادة فى البرهنة ، مما يدل على تركز الفكرة ، ووضوح المحجة ، والإلف لهذا النوع من المعارضة ، وهذا يرجح على الأقل أن هذا النوع من الكتب لم يصدر عنه إلا فى فترة متأخرة .

وإذن فالمسألة فى رأيى لا يجب فيها أن تدرس كما يراها السيد رئيس التحرير ، بل ربما كان من الخير أن تدرس على هذه الصورة التى نراها ، اللهم إلا إذا استطاع السيد رئيس التحرير أن يقدم نصا للأشعرى يصرح فيه بأن كتاب (الإبانة) كان آخر كتاب أو من آخر الكتب التى ألفها ، فإننى بذلك سوف أطوى بحثى واستنتاجى أمام ما يصرح به صاحب المذهب نفسه . فهل يملك السيد رئيس التحرير هذا النص ؟ وما حجته فى الجزم بفرض دون فرض ؟ لا سيما وان الفرض الذى نقول به هو ما اعتمده تلامذته ومؤرخو العقيدة فى عهده وغير عهده . ومع ذلك فهو يصلح تعليلا واضحا لكراهة ابن حزم الظاهرى للأشعرى ولعنة متأخرى الحنابلة لمذهبه ونقد ابن تيمية له .؟

الدكتور حموده غرابه
المدرس بكلية أصول الدين

آخر مراحل الاشعرى

إذا كان الحق هو الغرض الذى ينشده اثنان ، فهما متعاونان عليه ، وواصلان إليه لا محالة ، مهما اختلفت الزاوية التى ينظر منها إليه كل واحد منهما . وهذا ما لمسته فى الرسالة الكريمة التى نشرناها آنفا للأستاذ الجليل الدكتور حمودة غرابة المدرس بكلية أصول الدين ومؤلف كتاب (الأشعرى أبو الحسن) الذى وصفناه فى جزء رمضان من العام الماضى .

الحق الذى أنشده أنا وأخى الكريم الدكتور حمودة ينحصر فى تطـــور الإمام أبى الحسن الأشعرى بعد أن أكرمه الله باعتزال المعتزلة : هل انتقل من ذلك إلى نقيضه كما يقع أحيانا تحت تأثير « قانون رد الفعل » فاختار مذهب السلف بالتزام نصوص الإسلام فى الإيمان بالغيب ، ومنه آيات الصفات والأحاديث الصحيحة المفسرة لها أو الداخلة فى بابها ، وإمرار هذه الآيات والأحاديث كما وردت ، مع التقيد بأن الله ليس كمثله شىء ، جريا على طريقة الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، فكان طوره الثانى بعد الاعتزال هو الطور السلفى الذى يمثله كتابه (الإبانة) وحينئذ يكون كتاب الإبانة من أوائل مؤلفاته بعد براءته من الاعتزال ، ثم كان له طور ثالث تحول فيه عن مذهب السلف ، وسلك مسلك علم الكلام والجدل العقلى بالطريقة التى نسبت إليه ويمثلها كتابه (اللمع) وحينئذ ينبغى أن يكون كتاب اللمع من آخر مؤلفاته ؟

أم أنه لما اعتزل المعتزلة تصدى لمناظرتهم والرد عليهم بأساليبهم الكلامية ، فكان طوره الثانى هو طور الكلام والجدل والاعتماد ــ فى أمور الغيب ــ على الأقيسة المنطقية والأساليب التى تصلح لمكافحة المعتزلة وأهل الأهواء ، وحينئذ يكون كتاب (اللمع) من مؤلفاته فى طوره الثانى ، حتى إذا تقدمت به السن وسئمت نفسه هذه الأساليب وانتقل من بيئتها فى البصرة إلى بغداد رجع فى إيمانه بالغيب إلى عالم الغيب مكتفيا بالنصوص التى اكتفى بها الصحابة والتابعون ، ومقتنعا بأن الغيب قد استأثر الله بعلمه ، وأن أساليب القرآن أرجح فى سلامة العقيدة والتزام صفاء الفطرة من جميع أساليب اليونان ، كقول من قال ، بعد طول المناظرة والجدال :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها   وسرحت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن، أو قارعا سن نادم

وحينئذ يكون الطور السابق هو الطور الثالث من أطوار هذا الإمام، ولا سيما إذا اطمأنت النفس إلى أن (الإبانة) من أواخر مؤلفات أبي الحسن رحمه الله إن لم يكن آخـــرها .

أما كتاب (اللمع) فما لا ريب فيه أنه من أوائل مؤلفات الأشعرى بعد براءته من الاعتزال، نقل ذلك الحافظ ابن عساكر فى كتاب (تبيين كذب المفترى) ص ٣٩ عن أبى القاسم حجاج بن محمد الطرابلسى من أهل طرابلس المغرب قال : سألت أبا بكر اسماعيل ابن إسحاق الأزدى القيروانى المعروف بابن عزرة فقال : « الأشعرى شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا . قام على مذاهب الاعتزال أربعين سنة وكان لهم إماما . ثم غاب عن الناس فى بيته خمسة عشر يوما، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس، إنى إنما تغيبت عنكم فى هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة، ولم يترجح عندى حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبى هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبى هذا (وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به) ودفع الكتب إلى الناس فمنها كان كتاب (اللمع) . . الخ » . فكتاب (اللمع) إذن هو أول - أو من أول - ما ألفه بعد أن هداه الله، وهو يمثل الأشعرى فى أول ما كان عليه عند انقلابه على المعتزلة .

ومعلوم أن اعتزال الأشعرى للمعتزلة كان فى سنة ٣٠٠، وكان امتداد طوره الثانى إلى سنة ٣٢٠، وفى هذه العشرين من السنين كان يجادل المعتزلة بالمناظرات العلنية، وبالمؤلفات التى تشبه كتاب (اللمع)، بل إن كتاب اللمع ألفه ثلاث مرات إحداهن كتابه هذا الموجود فى أيدينا الآن فيما يظن، وله غيره (اللمع الكبير) جعله مدخلا إلى كتابه (إيضاح البرهان) و (اللمع الصغير) جعله مدخلا إلى اللمع الكبير . وقد ذكر ذلك الأشعرى نفسه فى ثبت مؤلفاته إلى سنة ٣٢٠ الذى أورده فى كتابه (العمد فى الرؤية) ونقله عنه الحافظ ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى (ص ١٢٨ — ١٣٤) ولم يذكر فى هذا الثبت كتاب (الإبانة) لأنه لم يكن قد ألفه بعد . وإنما ألفه فى أواخر حياته بعد انتقاله إلى بغداد ورأى فى تلك الحقبة أن يختم الله له فى إيمانه بمثل ما ختم به لأصحاب رسول الله ﷺ وكبار التابعين والأئمة الأولين . وتتجلى هذه الحقيقة لكل منصف

عقب قراءة رسالة أبي القاسم ابن درباس التى ألفها عن الأشعرى وألحقت بكتاب الإبانة فى طبعة ١٣٢١ بحيدر أباد الدكن بالهند بأمر نظام حيدر أباد .

وهنالك نص صريح بأن (الإبانة) آخر كتاب ألفه الأشعرى فى شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ٣٠٣) .

والمسلم إذا بلغ مثل منزلة الإمام أبي الحسن الأشعرى فى العلم وإخلاص النية لله عز وجل فى جميع تصرفاته لا يمكن أن يرجع عن سلفيته بعد أن اطمأنت نفسه لها وأنست بها وتشربها قلبه ، كما يتجلى ذلك فى كل سطر من سطور كتابه (الإبانة) ، فهو إذا جادل أهل الأهواء فى كتبه الأخرى وناقشهم فيما يحتمل أن تكون له وجوه من النظر ، فإنه فى (الإبانة) يجزم بما صح به النص عن الله عز وجل فيما استأثر الله بعلمه من أمر الغيب ، وليس للعقل سبيل إليه كالسبيل الذى يهدى إليه كلام الله القديم وحديث المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

إن الإمام الأشعرى قام فى طوره الثانى بجهاد عظيم مشكور فى مكافحته أهل الأهواء والاحتجاج عليهم بأساليبهم ، وكان ذلك ضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها ، ويلجأ إليها إذا لم تكن للمرء عن ذلك مندوحة . أما بعد يأسه من أهل الأهواء وأسفه على إضاعة وقته معهم ، فقد رجع فى إيمانه إلى مصادر الحق فى هذا الإيمان وأراد أن يلقى الله على ذلك.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يجل الإمام أبا الحسن ، ويستدل فى كتابه (منهاج السنة) فى عشرات كثيرة من المواضع بأقوال هذا الإمام التى أوردها فى (مقالات الإسلاميين) وفى غير ذلك من كتبه ، بل إن ابن تيمية يحفظ مذاهب الأشعرى فى كل مسألة ، ويدافع عنه فيما كان يتهمه به أهل الأهواء ، وفى خلال رده على الرافضة فى منهاج السنة يدافع حتى عن الأشعرية ويناقش المتحاملين عليها ، غير أنه فى كل أمر يعطى كل ذى حق حقه كما هو دأبه فى عرض كل أمر على النصوص الإسلامية ببيانات شافية يطمئن إليها قلب كل مسلم مخلص منصف .

وإنى أشكر لأخى الدكتور حمودة أن أتاح لى بسط الحديث فى هذا الموضوع المهم وكانا ناشد حق ، ونلتقى عنده دائما إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

قواعد الاديان

وقواعـــــد الاخلاق

فى العدد ٦٣ الصادر بتاريخ ٢٨ من شوال سنة ١٣٧٣ (٢٩ من يونيه سنة ١٩٥٤) من « مجلة التحرير » .

توجه السيد نوار محمود الرملى — فلسطين بالسؤال التالى :

« هل من المستطاع أن يجد الإنسان فى قواعد الأخلاق ما يغنيه عن قواعد الأديان ؟ »

إلى فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى الذى أجاب عنه بما يلى :

« نعم من المستطاع . غير أن هذه الاستطاعة نادرة الحدوث ، وضيقة الآفاق ، ولا تكاد تستجيب إلا لأفراد ممتازين فى الأمم والشعوب ، فأما عامة الناس وسوادهم الأعظم فذلك بالنسبة إليه مستحيل الحصول ، ولهذا كان الدين ضرورة اجتماعية لا بد منها فى تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق » .

*

بيد أنى لست أدرى أى غناء قصد السائل وأى غناء قصد المجيب .

إن قواعد الأديان تهدف إلى تحصيل سعادة فى الدنيا ، وسعادة فى الآخرة ، فهل يقصد السائل والمجيب معاً أن قواعد الأخلاق تكفل الحصول على هاتين السعادتين ، كما تكفل الحصول عليهما قواعد الأديان ؟ إن يكن ذلك ما قصداه ، فكيف أمكن فى رأيهما جواز الحصول على سعادة الآخرة ، دون الأخذ بأسباب دين صحيح ؟ وإن يكن ما قصداه شيئاً وراء ذلك ، لا يتصل بالحياة الآخرة من قريب أو من بعيد ، فكيف أمكن أن يتخذا منه موضوعا يقارنان فيه بين الدين والأخلاق ، وليس هنالك أمر من أوامر الدين إلا وجانب الآخرة ملحوظ فيه ، حتى تلك الأوامر التى قصد بها تنظيم شئون الدنيا لا بد فى تنفيذها لتكون داخلة فى نطاق الدين — من استشعار أنها أوامر الله : وأن الله سيجزى على تنفيذها الجزاء الحسن فى الدار الآخرة .

ثم كيف تعقد مقارنة بين قواعد الأخلاق وقواعد الأديان ، كشيئين لكل منهما استقلاله عن الآخر ، والدين هو ينبوع الأخلاق ، ومصدرها الأول ، فقد عرف أول ما عرف أن « الصدق فضيلة ، والكذب رذيلة » من الدين الذى سبق التفلسف بزمن بعيد .

بل إن التفلسف نفسه لم يستطع أن يتجاهل العلاقة الوثيقة بين الدين والأخلاق . فهذا كبير فلاسفة العصور الحديثة «كانت » يتخذ من الأخلاق طريقه لإثبات وجود الإله .

وما أظن سقراط — واضع علم الأخلاق - حين قال : « إن جزاء الفضيلة فى الفضيلة نفسها » يعنى أنه السرور القلبى الذى يحسه المرء فى نفسه عقب إتيان فعل فاضل قد نسى — وهو فيلسوف مؤله — أن حصة من هذا السرور ترجع إلى الشعور بأن الله راض عن فعله .

تلك كلمة قصيرة أردت أن أوضح بها غموضا ورد فى هذا السؤال الذى يبدو خطيراً ، ثم فى الإجابة عنه كذلك ؟

سليمان دنيا
الأستاذ فى كلية أصول الدين

اختيار المسلمين المناخ لمستشفياتهم

لما أراد عضد الدولة أن يبنى مستشفى استشار طبيبه فى اختيار موضع لإقامة البناء عليه . فأخذ الطبيب قطعة لحم وشقها أربع شرائح ، ووضع كل شريحة فى مكان مكشوف حول المدينة ، ثم رتب رجالا يثبت كل منهم فى دفتره الدقيقة التى يحدث فيها التعفن فى كل من هذه الشرائح . ثم بنى المستشفى فى المكان الذى تأخر فيه تعفن اللحم .

الكسب الحلال

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟ ؟ » .

جاء رسول الإسلام فى هذا الدين الخالد بأسمى ما تتطلبه البشرية ، من أوضاع واضحة القصد ، مظفرة الغاية ، قريبة المنال ، سبيلها سوى ، وفضلها سنى ، وجلالها فى الروعة بالغ مشهود .

فالدين الإسلامى فى العقيدة : توحيد خالص ، لا يقبل إشراكا ولا رياء .

والدين الإسلامى فى العبادات : تهذيب وتنظيم ، وتكافل وتساند .

والدين الإسلامى فى الأخلاق : بر ومرحمة ، وعزة وسمو ، وترفع وإباء .

والدين الإسلامى فى المعاملات : يستهدف : أن لا ضرر ولا ضرار .

وحديثنا اليوم فى المعاملات توجيه حازم حاسم للناس : أن كلوا من الطيبات ، ولا تيمموا الخبيث ، فإن الطيب مقبول محمود ، وإن الخبيث مردود مرذول ، وإن الله عز سلطانه ، وجل شأنه ، لم يفرق فى أمره بالكسب الحلال ، بين الرسل الذين اصطفاهم وولاهم - والله أعلم حيث يجعل رسالته - وبين سائر المؤمنين الذين جللهم بالإيمان ، وهداهم إلى تعاليمه المشرقة ، بل سوى بينهم فى هذا الطلب ، لما له من عظيم الشأن ، وبالغ الأثر .

فالكسب الحلال طريقه طيب ، وريحه طيب ، ومذاقه طيب ، والحافز إليه نفس طيبة ، وقناعة راضية ، واطمئنان كريم .

لا يعمد إلى الكسب الحلال غاش ، ولا مزور ، ولا كذاب ، ولا فاجر .

ولا يجرى وراء الخبيث أبى ، ولا تقى ، ولا نظيف . فشعار الطيبين حمد مكسوب ، وشرف مرغوب . وشعار الأخسرين طمع لا يرعوى ، وظمأ لا يرتوى ، وجشع طويل عريض ، يمتد إلى أعماق السحت ، ويأخذ بأسباب الإفك ، ويمضغ بين فكيه كرامة يهدرها ، وأمانة يحقرها ، وشرفاً يزدريه ، ولا والله ما هو ببالغ فى جشعه الطويل العريض إلا رزقاً مقدراً محدوداً ، قسمه الله له من فوق سبع سموات . قال تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » . وقال عز شأنه : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

وقال ﷺ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه فيبارك فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

فالكتاب الكريم ، والسنة المطهرة يلفتان نظر الناس إلى أن الرزق مقسوم محدود . وسواء ألح بالإنسان الجشع أو قرت نفسه بالقناعة ، وسواء أظفر المرء بالرضا أو شقى بالإرهاق ، فلن ينقص من رزقه أو يزيد فيه قناعة ورضا ، أو لجاجة وإعنات . قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

فيامعشر الناس : التاجر فيكم إن صدق ووفى ، فكسبه حلال ، وتجارته رابحة ، وماله مبارك فيه ، وإن غش وخان ، أو احتكر وضيق ، فالغلاء الذى يكوى به الناس فى الأسعار

سيكون سعيراً يكتوى به فى عذاب النار. وإن ربحه الفاحش أغلال فى عنقه، وخيانته فى التعامل خسار فى دنياه وآخرته.

ويامعشر الناس: إن الموظف فيكم أمين فيما وليه من أمور الناس، فإن ضيع الأمانة، أو فوت الحق، أو استغل النفوذ، برشوة خبيثة، أو مجاملة بغيضة، أو سلطان أحمق، فهو مدخول فى نفسه، مضيع فى إثمه، مدنس بما غل، والله لا يهدى كيد الخائنين.

ويامعشر الناس: فيكم العامل والصانع والزارع، فإن حفظوا حق الغير، وراعوا حدود الله، وكان فى صفاتهم الأمانة، والوفاء، والصدق، وحسن الرعاية، فقد أكلوا طيباً وربحوا حلالا. وإن هم عاثوا، وخانوا، وضلوا، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ولعنة الوطن، وكراهية الناس.

ويامعشر الناس: أجمعوا أمركم، وفوتوا على الغاشين والطامعين والمرتشين أطماعهم، وكونوا على الحرام حربا، وأشيعوا التعامل الكريم البرىء بين القانعين والصادقين، ونظفوا المجتمع من هذا الغول الشره الذى لا يفرق بين الحلال والحرام، ولا بين الخبيث والطيب.

وياهؤلاء الذين يتعجلون الرزق فيسلكون إليه كل سبيل، ويتحرقون للجمع ليطفئوا المال نار جشعهم المتأججة: على رسلكم ... فكل قرش من رزقكم مرهون بوقته، مضمون بوعد الله.

قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين، شيئاً هو لى لن أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئاً هو لغيرى، وذلك مما لم أنله فيما مضى، ولا أناله فيما بقى، يمنع الذى لى من غيرى كما يمنع الذى لغيرى منى. ففى أى هذين أفنى عمرى، وأهلك نفسى ؟؟

وينبغى أن يكون معلوما أن الإسلام لا يتطلب من الناس أن يصبروا على الجوع دون سعى لتحصيل الرزق، فإن الإسلام دين أمر بالكد والعمل، ولكن الدين يهيب بالناس أن يثقوا برزق الله الذى وعد. قال تعالى: «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها»

وأن يطلبوه حلالا طيباً ، ليكون بركة لهم فى أنفسهم ، وفى أولادهم وأهليهم ، فإن آكل الحرام لايجد إلا علة لا تبرأ ، أو فساداً لا يقوَّم ، أو ضياعا وحرمانا . فيدعو الله لتخفيف العلة ، وتقويم الفساد ، واسترداد الضائع ... يارب ... يارب ... ولكن ... أنى يستجاب له ؟ ؟

كيف يستجاب لدعوته وهو ظالم آثم ؟

كيف يستجاب له ، وقد ألبسه الله الداء ، وأحاطه بالبلاء ، وذلك من عدل الجزاء « وما ربك بظلام للعبيد » .

فالحلال الحلال ياقوم ، إنه زينة بيوتكم ، ومتاع أرواحكم ، وإنه نجاح مقاصدكم ، وظفر أولادكم ، وإنه عفة أيديكم ، وطهارة قلوبكم .

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »

وفقنا الله جميعاً وهدانا ، وجملنا بالطيب الحلال ؟

محمد عبد التواب

مفتش الوعظ العام بالأزهر

هى النفس

قال الرّبيع بن ضبع الفزارى (وقد عمر جيلين) :

لقد عزفت نفسى عن اللهو جملة وإن نهلت من لهوها ثم علت

رأيت قرونا من قرون تقدمت فلم يبق إلا ذكرها حين ولت

هى النفس ما منيتها تاق شوقها وإلا فنفس إن يئست تسلت

عريف أهل الصفة

الصفة : الموضع المظلل من المسجد ، كما كان جارياً فى أبنية المساجد أولا أن لا تظلل ، فإذا ظلل بها مكان لحاجة كان صفة .

وكانت فى مسجد الرسول ﷺ صفة يأوى إليها كثير من الفقراء والغرباء يسمون : (أهل الصفة) وكانوا قوما قد أخلاهم الحق من الركون إلى شىء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا التى زوى الله عنهم ، إبقاء عليهم .

قال عبد الرحمن بن أبى بكر : كان أصحاب الصفة أناساً من الفقراء ، وكان رسول الله ﷺ يقول فى شأنهم : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس » وقال أبو هريرة : مر بى رسول الله ﷺ فقال : أبا هر . قلت : لبيك يارسول الله . قال : الحق أهل الصفة فادعهم . قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها - وروى أبو نعيم فى الحلية أنه ﷺ كان يجرى عليهم كل يوم مداً من تمر بين كل رجلين . والحديث عن هؤلاء يطول .

وإنما المقصود الآن الحديث عن عريف هؤلاء القائم بأمرهم وهو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الذى سكن تلك الصفة واستوطنها ، منذ لقى رسول الله ﷺ فى خيبر فأسلم على يديه فى السنة السابعة من الهجرة ، وعاد معه إلى المدينة فلزم ذلك المكان حتى وفاة رسول الله ﷺ . وقد كان السيد الرسول صلوات الله عليه إذا أراد أن يجمع أهل الصفة لأمر تقدم إلى أبى هريرة ليدعوهم لمعرفته بهم وبمنازلهم جميعاً .

قال أبو نعيم : كان أبو هريرة أحد أعلام الفقراء والمساكين ، صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد . أعرض عن غرس الأشجار ، وجرى الأنهار ، وعن مخالطة الأغنياء والتجار . أما مجمل ما يقال عن نشأة هذا الإمام العظيم فإنه كان من قبيلة من اليمن يقال لها دوس من الأزد كانت تعبد الأوثان ، وقد هدى الله أمه أميمة إلى الإسلام . ثم هدى إليه قلب هذا الفتى الدوسى من بعدها ، فهاجر إلى النبى ﷺ فى نحو السابعة والعشرين من عمره ، وأسلم على يديه ، وآمن بدعوته الكريمة إيماناً دعاه إلى ذلك الانقطاع

والتبتل الذى أشرت إليه . ويتحدث عن نفسه فيقول فى اعتداده وشكره لله : « نشأت يتيما ، وهجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطنى وعقبة رجلى ، وكنت أخدم إذا نزلوا ، وأحدوا إذا ركبوا ، فزوجنيها الله ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواما ، وجعل أبا هريرة إماما . وكنيت بأبى هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها . وإذا كان فى الناس من يزعم أن الذى كناه بذلك رسول الله ﷺ فإن فى ظاهر هذه العبارة ما ينافى ذلك . ولقد كان من الشرف أن يقول : كنانى رسول الله ﷺ بأبى هريرة لو كان ذلك ، على أنه ليس من الأدب ـ لو كان ذلك ـ أن يقول : كنيت . وقد أسلم كما قلت لك فى فتائه وقوته ، فلزم الرسول ﷺ لا يأوى إلى أهل ولا ولد ، ولا يؤثر على مجلس رسول الله ﷺ شيئاً . فحضر ما لا يحضر كثرة الأصحاب ، وحفظ ما لا يحفظون ، وعلم ما لا يعلمون . واستمر فى عهود الخلفاء الاربعة ينثر ماجمع ، ويبشر بما انتفع ، حتى اختاره الله لجواره فى السنة السابعة والخمسين للهجرة النبوية فى عهد معاوية بن أبى سفيان .

صفاته :

وقد يستطيع المتتبع لتاريخ حياته وشئونه وأحواله ، أن يتعرف ما تحلى به ذلك الإمام من صفات كريمة ، أهمها :

(١) الزهد فى الدنيا والإعراض عما يغرى الجاهلين من أهلها ، شأن أهل الصفة الذين علمت أمرهم . وقد كان قبل الإسلام كما علمت أجيراً لآل بسرة ، وقد تجرد من دنياه وما أقل ما تجرد منه ، فانقطع لله ولعبادته ، وقد انتهى أمره إلى الإمرة فى الدنيا ، والإثراء منها بعد أن استقر الإيمان فى قلبه ، فانشرح الصدر ، وتجافت النفس عن دار الغرور ، فما تأسى على تركها .

عرف التاريخ من أحوال هذا الإمام أنه كان لا يسأل الناس شيئا على ما يكون به من خصاصة . وتحدث عن نفسه فقال : والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على كبدى من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر بى أبوبكر ، فسألته عن آية من كتاب الله سبحانه ما أسأله إلا ليستتبعنى فمر ولم يفعل ، وكذلك فعل مع عمر ، وفعل معه عمر . ثم مر به أبو القاسم ﷺ وعرف ما فى وجهه فتبسم ، ثم قال : يا أبا هر . قال : لبيك يا رسول الله . قال : الحق ، ثم مضى واتبعه أبو هريرة ، فدخل ثم دخل أبو هريرة ، فوجد لبنا فى قدح ، فقال : يا أبا هريرة الحق أهل الصفة فشربوا اللبن .

ويحدث بمثل هذا عن نفسه مرارا ، وفيه دليل على زهده وصبره وعزة نفسه ، وأنه لا يسأل الدنيا ولا يطلبها ، فإذا جاع التمس كفافه فى عزة وكرامة . ويحدث أنه كان يصرع مرارا بين منبر النبى ﷺ وحجرة عائشة ، فيقول الناس : إنه مجنون ، وما به إلا الجوع . والإسلام دين الطلب والسعى ، ولكنه وجد فيه وفى إخوانه من أهل الصفة ما لا يسمح لهم بالضرب فى الأرض من معانى العجز عن التصرف ، واتجاه الاستعداد إلى طلب العلم والعبادة ، فأقرهم على ذلك ونزل فيهم قوله سبحانه : (واصبر نفسك) الآيات .

وكانت لأبى هريرة فكرة عن المال والدنيا تحمل على التجرد والإعراض ، فهو يبغض المال وينفر منه ، ويدعو لأحبابه أن يكثر الله المال لأعدائهم : فقد كان بعض الموالى يلزم أبا هريرة يتلقى عنه العلم والأدب ، وكان إذا سلم على أبى هريرة يقول له : سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، دمت وشيكا ، وأكثر الله لمن أبغضك المال .

وكانت له بنت حبيبة فكان ينهاها عن لبس الذهب خوفا عليها من الفتنة ، وكأنها كانت تتضايق من ذلك وتستحى من عدم لبس الذهب ، فيقول لها : قولى : أبى أبى أن يلبسنى الذهب ، يخشى علىّ حر اللهب ، وهذا نهج لأحب لأبى هريرة ، يتمثل مشرقا متألقا فيما ورد عنه إذ يتحدث أيضا عن نفسه فيقول : « إن رسول الله ﷺ قال : ألا تسألنى شيئا من هذه الغنائم التى يسألنى أصحابك ؟ فقلت : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله . قال : فنزعت نمرة على ظهرى فبسطتها بينى وبينه ، فحدثنى ، حتى إذا استوعبت حديثه قال : « اجمعها فصرها إليك » فأصبحت لا أسقط شيئا مما حدثنى .

وفى النمرة أحاديث بروايات كثيرة ربما أوردت بعضها .

وموضع الإعجاب فى هذا الخبر قوله فى جواب النبى ﷺ : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله . بخ بخ لك أيها العالم العصامى الربانى ، لقد استبدلت الحق بالباطل ، وآثرت ما يرفع وما يخلد على ما يخفض وما يذهب ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . وإذا فقد بلغ أبو هريرة من الزهد الذروة ، ولم يطلب من دنياه إلا ما يقيم الأود ، فملأ الله صدره من العلم والفقه والرواية ، ورفع شأنه بالدين الذى جعله قواما . وتلك هى الصفة التى سأتحدث عنها فى المقال الآتى .

محمود الشرقاوى
المفتش بالأزهر

الأزهر والصحافة

- ٢ -

تحدثنا فى مقالنا السابق [١] عن جهود الأزهريين فى الصحافة العربية منذ مولدها فى مصر فى العصر الحديث ، وكشفنا القناع عن توليهم صحيفة مصر الاولى « الوقائع » بالرعاية والتوجيه ، مما كان له أبلغ الأثر فى خلق صحافة واضحة المعالم بينة الأهداف ، ينمو فى ظلالها الأدب والرأى .

وتتابع فى هذه الحلقة وما يليها نهوضهم بالصحافة فى صدر هذا العصر ، متوخين فى ذكر هذه الصحف تتابعها فى الوجود . . . وقد ولى الوقائع فى الميلاد :

صحيفة وادى النيل سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) :

فقد رغب إسماعيل فى إنشاء نهضة صحفية غير رسمية تعبر عن مجلس الشورى واتجاهه وتساير فكرته ، فأوحى إلى أحد أبناء الأزهر الأدباء ، وهو « عبد الله أبو السعود » بإنشاء هذه الصحيفة ، فكانت أول صحيفة عربية قامت بهذا العمل . ويذكر « فيليب دى طرازى » فى تاريخها أنها مجلة سياسية علمية أدبية كانت تصدر مرتين فى الأسبوع ، وعبارتها صحيحة ، وأفكارها سليمة [٢] » .

أنشئت هذه المجلة سنة ١٢٨٤ ، وذكرت الوقائع المصرية خبر إنشائها فى محلياتها [٣] ، وتلقتها بالتحية صحيفة فرنسية معاصرة كانت تصدر بالإسكندرية فقالت : « وقد حدثت صحيفة مصرية جديدة بمدينة القاهرة تسمى وادى النيل وقد أوضح منشئها وناظرها فيما

---

[١] ص ١٠٢٥ من مجلة الأزهر ـ المجلد ٢٥ ـ رمضان ١٣٧٣ .

[٢] تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٦٩ .

[٣] الوقائع فى ٢٣ من ربيع الأول سنة ١٢٨٤ هـ .

أورده من بيان الغرض المقصود من إنشائها أنه التزم بأن ينشر فيها الأخبار النافعة للديار المصرية، سواء كانت ترد من أوروبة أم من الأقاليم المصرية [١]».

وصحيفة وادى النيل أول صحيفة وطنية شعبية صدرت بمصر وقد كانت صورة للوقائع فى تفكيرها واتجاهاتها [٢].

أضاء أبو السعود الطريق لهذا النوع من الصحف فنهج نهجه كاتبان شهيران فى عصر «إسماعيل» هما «ابراهيم المويلحى» و«عثمان جلال» فأنشآ مجلة «نزهة الأفكار» سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) سياسية أسبوعية.

وقد كان «أبو السعود» هذا علماً من أعلام الأدب وله جولات موفقة فى الشعر والنثر عدا جهده الرائع فى التأليف والترجمة. ويتمثل أسلوبه الجزل فى صحيفته وفى مقالاته التى نشرها بصحيفة «روضة الأخبار» التى أنشأها ابنه «محمد أنسى» للسياسة والعلم والأدب والزراعة والتجارة سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥ م).

روضة المدارس:

«كان على مبارك باشا مشرفا على شئون التعليم فى عهد إسماعيل، وكانت النهضة المشبوبة تحمل ذوى الغيرة على الشباب المثقفين أن يهيئوا لهم ما يوسع مداركهم، وينير أفكارهم، ويهذب لغتهم، فلم يكن أولى بتحقيق هذا الغرض من إنشاء صحيفة «روضة المدارس» التى نهضت باللغة العربية، وأحيت آدابها ونشرت المعارف الحديثة والأفكار الجديدة، وقد ألقيت مقاليد أمورها إلى أستاذ الصحافة الرسمية فى القرن التاسع عشر «رفاعة بك الطهطاوى» محرر الوقائع وناظر الترجمة فى عهد إسماعيل، يعاونه فى إصدارها جهابذة العصر فى العلوم والآداب والفنون المختلفة [٣]».

نهض رفاعة بك بهذه المجلة وأسبغ عليها من أدبه وفنه وإرشاده، وعاونه طائفة من

[١] وادى النيل العدد العاشر.

[٢] تطور الصحافة المصرية ص ٧٧.

[٣] « « ص ٦٢.

أدباء الأزهر كالشيخ « حسين المرصفى » كما شارك فى النهوض بها « على باشا مبارك » و « إسماعيل باشا الفلكى » وكان « عبد الله أبو السعود » يترجم مايرد إلى المجلة من مقالات الأساتذة الأجانب فيجد الناس فيها أفكار الغرب وعلومه وآدابه .

كانت روضة المدارس مياسة الغصن ، فواحة الزهر ، يصدح على أيكها الأدباء والشعراء والمفكرون . وكانت الميدان الرهيب الذى تتنافس فيه الأقلام ، وتتبارى الملكات ، زخرت بالآداب والعلوم والفنون ، وجالت فى الاجتماع والتاريخ والرياضة والفلك ، وحفلت بالشعر العربى فى القرن الماضى فنشرت الشعر الرقيق الطريف لشيخ الشعراء : « إسماعيل صبرى » رحمه الله ولغيره . وكانت تصدر مرتين فى كل شهر . وقد أمر « إسماعيل » بتوزيعها مجانا على طلبة المدارس ، فاستهوتهم وعودتهم حب الأدب والكلف بالاطلاع ، وأثرت فى مداركهم وأفكارهم .

جاء فى مقدمتها أن إرادة « خديو مصر المتكفل بسعود رعيتها ، ونمو بهجتها ، وتقويم صعدتها ، وتمكين نجدتها - شاءت إصدار صحيفة تكون مجالا لأنفس المواد العلمية بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة ، والمسائل المتأصلة والمتفرعة ، أقرب تناولا للمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذا لمن يعانيها من قريب الفهم والبعيد ، بقلم سهل العبارة ، واضح الإشارة ، وألفاظ فصيحة ، غير حوشية ولا مجشمة لصعب التراكيب » .

وتمضى فى الإفصاح عن الغرض من إنشائها فتقول : « إن المراد من ظهورها بهذه الصورة هو أن تنكشف للعامة مخدرات العلم وترفع حجبها المستورة ، وتستضىء بنورها أرباب العقول السليمة ، وأصحاب الطبائع المستقيمة ، وخصوصا من أبناء المدارس . . . حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم ، وتبعثهم على ازدياد اهتمامهم ، إذا علم كل منهم أن مايظهر من أعماله المستحسنة ، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفئدة والألسنة ، سيقيد بهذه الصحيفة » .

موضوعاتها :

أما موضوعاتها فهى رسائل مؤلفة جديدة ، ونبذ مصنفة مفيدة ، من علوم وفنون مختلفة ، ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة ، وبعض تراجم من لغات أجنبية .

الشيخ محمد عبده والأهرام :

أنشأ « سليم تقلا » أحد أدباء سورية صحيفة الأهرام سنة ١٢٩٣ (١٨٧٥ م) . وكان

« الشيخ محمد عبده » يجرى على صفحاتها قلمه الأديب حيث كان أول عهده بالإنشاء . وقد نشرت له الأهرام خمس مقالات متفرقة بين العدد الخامس من السنة الأولى الصادر فى ١٤ من شعبان سنة ١٢٩٣ هـ ، والعدد الواحد والأربعين ، وهــذه هى السنة التى نال فيها « الشيخ محمد عبده » شهادة العالمية من الأزهر . وكانت الأهرام تحتفى به وتقدمه للقراء بديباجة فذة . ومن ذلك ما جاء فى العدد الخامس من السنة الأولى إذ قالت : « وردت إلينا هذه الرسالة من قلم العالم العلامة والأديب الفهامة الشيخ محمد عبده أحــد المجاورين بالأزهر فأدرجناها بحروفها » .

أبو نظارة ١٢٩٤ (١٨٧٧ م) :

كان لوجود الأفغانى بمصر أثر بليغ فى إنارة الفكر ، وإثارة العزم ، وإيقاظ الهمم ، ولم يقتصر فضله على محاضراته الفكرية بل كان يوجه الأدباء والمفكرين والمصلحين إلى كل ما ينهض بالأمة وبالشعوب الإسلامية . وكان له على الصحف العربيـة فى مصر فضل يتغنى به التاريخ ، ومن ذلك أنه سعى فى إخراج « مرآة الشرق » لصاحبها (سليم عنحورى » وظل يؤيده حتى منح التصريح بصدورها . وكانت مجالا لأقلام الصفوة المختارة من الكتاب الوطنيين ، ولبى « الشيخ محمد عبده » نداء الأستاذ الأفغانى فحرر بهـا كثيراً من مقالاته . كما فعل مثل ذلك « الشيخ على يوسف » وقد كانت هــذه الصحيفة لسان الحزب الوطنى فى نهاية عصر إسماعيل .

أما صحيفة أبى نظارة فهى أقدم الصحف الهزلية المصورة فى الشرق قاطبة . وقد لقيت من الأمة إعجاباً وتهافتاً ينم عنه قول « الدكتور محمد صبرى » فى كتابه عن تكوين الرأى العام المصرى : إنها شغلت قراءها عن الاستماع إلى مطرب العصر « أحمد سالم » حين دخل بائع الصحف فانصرفوا عن المطرب إلى قراءتها مع أن « أحمد سالم » كان يتغنى بأغنية من وضع أبى نظارة عنوانها « المضطهد » لقى بغنائها السجن عشرة أيام .

والذى نهدف إليه من الحديث عنها أن هذه الصحيفة ذات الخطر العظيم كان يعدها « جمال الدين » و « محمد عبده » وأنها كانت تقض مضاجع الخديو وحاشيته ، ومن ثم كانت قصيرة العمر حيث أغلقها الخديو وظفر من إيطاليا بالموافقة على نفى صاحبها من مصر .

يتبع

محمد كامل الفقى
المدرس بكلية اللغة العربية

غزوة أحد

— ٤ —

آيات من شجاعة النبي وجيش الاسلام

شجاعة الرسول :

ثبت الرسول ﷺ فى المعركة ، ولم يتزعزع فى هذه المحنة ، بل ما زال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ، فأخذ يرمى الأعداء بالحجارة وهو أقرب الناس إليهم ، وقد أقبلوا من كل مكان على أثر سماعهم لتلك الصيحة الشنعاء بأن محمداً قد قتل ، وكل منهم يريد أن يحظى بشرف التمثيل برسول الإسلام الأعظم ...

عن على رضى الله عنه قال : لما انجلى الناس يوم أحد ، نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : والله ما كان ليفر ، وما أراه فى القتلى ، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه . فما لى خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت غمد سيفى ثم حملت على القوم ، فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم .

ما أصاب الرسول :

فى هذه المحنة أصيب النبي ﷺ عدة إصابات ، فقد رماه عتبة بن أبى وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى . ورماه عبد الله بن شهاب الأزهرى فشجه فى جبهته ، ورماه ابن قمئة فجرح وجنته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته . فلم يبال النبي ﷺ بما أصابه ، بل سار وحوله أصحابه ، فإذا به يقع فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فلحقه على بن أبى طالب وأخذ بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، وأخذ أصحابه يسعفونه وينزعون الحلقات من وجهه .

أما المسلمون الذين التفوا حول النبي ﷺ فقد عزموا على الدفاع عنه إلى آخر رجل فيهم ، ولقد أبلوا جميعاً فى هذا أعظم البلاء ، وأتى كل منهم من آيات الشجاعة ما يعجز عنه الوصف ، فأبو دجانة مثلا ترّس دون رسول الله بنفسه ، وكان النبل يقع فى ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل .

وكان قتادة بن النعمان رضى الله عنه يتقى السهام بوجهه دون وجه الرسول حتى أصيبت إحدى عينيه .

وكان سعد بن أبي وقاص يرمى النبل دفاعا عن النبي ﷺ حتى رمى ألف سهم ، ما منها سهم إلا ورسول الله يقول له : ارم ، فداك أبي وأمى . . .

صيحة النجاة :

كان أول من عرف النبي بعد الهزيمة وبعد تلك الصيحة المشئومة . « إن محمداً قد قتل » هو كعب بن مالك رضى الله عنه ، فقد عرفه من عينيه وكانتا تزهران تحت المغفر ، فصاح بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول الله » .

فأشار إليه الرسول أن أنصت ، ولكن المسلمين لما عرفوا الرسول نهضوا به ونهض معهم نحو الممر ، ومعه أبو بكر وعمر وعلى وباقى من كانوا معه . ولكن أبيّ بن خلف لحق بالمسلمين وهو يقول : « أين محمد؟ ! . لا نجوت إن نجا » .

فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول النبي ﷺ حربة الحارث بن الصمة ، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة جعلته يتدحرج عن فرسه ويعود من حيث أتى ليهلك فى الطريق .

وبينما رسول الله وصحابته فى الممر إذ علت خيل من قريش الجبل وكان على رأسها خالد بن الوليد .

فقال الرسول : « اللهم إنه لاينبغى لهم أن يعلونا ! ! اللهم لا قوة لنا إلا بك » فقاتلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين حتى هبطوا من الجبل . واشتغل المشركون ذكوراً وإناثا بقتلى المسلمين يمثلون بهم .

وكان أبو سفيان قد جاء يسأل عن النبي ، فأجابه عمر أنه لم يقتل ، فقال : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال النبي لعمر : قل : « نعم هو بيننا وبينكم موعد » . ثم انصرف المشركون ، فأرسل النبي عليا يتبعهم خشية أن يكون فى نيتهم التوجه إلى المدينة لنهبها ، فعاد فطمأنه .

من آيات الشجاعة الفائقة :

ولما خلا الميدان من الأعداء انطلق المسلمون يتفقدون القتلى فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ، أفى الأموات هو أم فى الأحياء ؟ فتقدم أبى بن كعب رضى الله عنه وهو من الأنصار لهـذا الأمر ، وها هو ذا يحدثنا عما كان : بعثنى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوم أحد لطلب سعد بن الربيع الأنصارى وقال : إن رأيته فأقرئه منى السلام ، وقل له : كيف تجدك ؟ (أى كيف حالك) . فأصبته (أى وجدته) وهو فى آخـر رمق ، وبه سبعون ضربة : ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات . فقال : إنى فى الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ منى السلام وقل : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته . وقل : إنى أجد ريح الجنة ، وأبلغ قومك منى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لـكم : « لا عذر لـكم عند الله تعالى إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكروه وفيكم عين تطرف ، ثم لم يبرح أن مات . فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

العودة إلى المدينة :

أمر النبي بدفن شهداء المسلمين وقد بلغوا سبعين ثم اتجه مع باقى أصحابه ـ وكان أغلبهم جرحى ـ صوب المدينة ، فاستقبلهم المنافقون واليهود بعين الشماتة والسرور لما حدث لهم ، وأظهروا أقبح القول ، فقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب بمثل هـذا نبي قط : أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه ! وقالوا : لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل !! وهكذا انكشفت للمسلمين قلوب المنافقين بما تحمل من أضغان وأحقاد : فحز ذلك فى نفوسهم وأثر فيها أبلغ الأثر ، وأصبحوا بين قريش باستخفافها واستهزائها ، والمنافقين بحقدهم وقبيح كلامهم ، واليهود بشماتتهم وسخريتهم . فخشوا على الإسلام من التدهور ، وعلى سلطانهم من الذهاب ، وهناك تـكون المصيبة الـكبرى ، والخطب الجلل .

ولذلك عزم المسلمون على القيام قومة واحدة فى وجه هذا الخطر الداهم ، وعلى الضرب ضربة قوية جريئة فى هذا السيل الجارف . حتى يعود للإسلام مجده ومكانته ، ولسلطان المسلمين قوته وقيمته .

خروج الرسول فى أثر العدو :

فلما كان الغد من يوم أحد أى فى يوم الأحد ١٦ شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وبعد فراغ المسلمين من صلاة الصبح ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدعو جميع من شهدوا أحدا بالأمس بالاستعداد للخروج فى أثر العدو .

وقد رمى الرسول من وراء الاكتفاء بمن شهد غزوة أحد فقط إلى إظهار العزم الشديد على استرداد الهيبة ، لأن خروج المسلمين - وغالبهم جرحى - يعد أكبر دليل على صدق العزم.

وكذلك أراد الرسول أن يعظم من شهد أحدا ، وخشى اختلاط المنافقين بهم ، فيضعفون من شوكتهم ، ويعرقلون أعمالهم.

وقد وافق نداء بلال رغبة جميع المسلمين . فأقبلوا على الإجابة بروح قوية ، وعزم صادق، وفيهم من به بضع وسبعون جراحة .

ومن أمثلة استماتة المسلمين فى نصرة رسولهم : أن رجلا من بنى عبد الأشهل كان قد شهد أحدا مع النبى صلى الله عليه وسلم هو وأخ له فرجعا جريحين ، فلما أذن بلال بالخروج فى طلب العدو قالا : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل .

ثم خرجا مع الخارجين يتحاملان حتى انتهيا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

وعلى عادة النبي حين يترك المدينة استعمل عليها ابن أم مكتوم ، وخرج المسلمون دون أن يشتغلوا بمعالجة جروحهم .

وأرسل الرسول ثلاثة من رجاله ليلحقوا بقريش ويتحسسوا الأخبار ، فلحق اثنان منهم بالقوم فى مكان يسمى حمراء الأسد [1] فقبضت عليهما قريش وقتلتهما .

ولما وصل المسلمون إلى المكان عسكروا فيه ووجدوا الرجلين فدفنوهما .

وقد مر بمعسكر المسلمين معبد بن أبى معبد الخزاعى وهو مشرك ، وكان بنو خزاعة : مسلمهم وكافرهم يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانوا موضع سره .

---

[1] موضع على ثمانية أميال من المدينة .

فقال للنبي : « يا محمد ، والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك » .

ثم انطلق حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء ، وكانوا قد أجمعوا العودة إلى المسلمين ليفنوهم وقالوا : أصبنا أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ ؟ ! لنكرن عليهم فلنفرغن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبدا الخزاعى قال : « ما وراءك يا معبد » ؟

قال : « محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط » .

فما لبث الرعب أن دب فى قلب أبى سفيان ورجاله ، فقرروا العودة إلى مكة . .

محمد جمال الدين محفوظ



إقامة الألسنة

قال عبد الملك بن مروان :

ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التى بها يتحاورون الكلام ويتهادون الحكم ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ، ويجمعون ما تفرق منها . إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم ، وضياء يجلو الظلام . وحاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية .

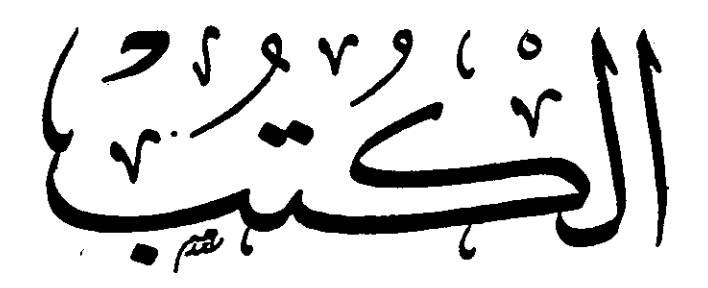
يا بنى الدنيـــــا

علام إذا عراكم ... وأنتم ... بها غرباء ، أو قوم ... نيام ؟
فما أدرى ... وبالدنيا غباء أنحن بها رعاة ؟ أم سوام ؟
لقـد عجزت فلاسفة وضلت بهمهما ، وما صـدق الانام
وما أحسنتم فى الأرض شيئا وهـذا الشرق ، والدنيا ضرام
بنى الدنيا لقـد ضقنا وضقتم فما هـذا التناحر والزحام ؟
لقـد نامت بعلمكم الليالى وفى أحشائها النوب الجسام
فهـذا الشرق تغزوه ذئاب وهذا الركن يعلوه الجهام
ونحن به تمزقنا الأمانى ويقتلنا الخـلاف والانقسام
غباء ... لا يدانيه غباء وداء فى مفاصلنا عقـام
شياطين على البطحاء تعوى وأقوام على البلوى ... أقاموا

* * *

نخوض معارك الدنيا ونمضى فيدعانا إلى الدنيا ... الرجام
فأين النور يمـلأ جانبيها وأين بها المحبة ... والوئام ؟
فقوم بينـكم فيها كرام وقوم بينـكم فيها ... لئام !!
سياسات وأحلام حيارى وقوم ليس يجمعهم ... نظام
وأقدار بدنيا الناس تجرى وأحقاد ، وأحـداث عظام
نصحتهم بمنعرج الليالى فما ثابوا ، وما التام الكلام
وساس الأمر فى الدنيا طغاة فحاق بأهلها الموت الزؤام
ولم يعصمهم فى الأرض (دين) ولم يرع الذمام لهم حسام
حياة ترقص الأقدار فيها ويصرخ فى زواياها الحمام
فما للظاعنين بها مقام وما للعاجز الوانى .. قيام

صابر على رمضان الجوشنى



الصراع بين الموالى والعرب

للدكتور محمد بديع شريف — ٢٧٠ ص — دار الكتاب العربى

الحديث عن الموالى والعرب فى الإسلام من أدق بحوث التاريخ الإسلامى ، وقد زلت فيه أقدام كثيرين - مثل جرجى زيدان - لأنهم لم يميزوا بين الموالى الذين أكرمهم الله بالإسلام فآمنوا به واغتبطوا بإيمانهم فكانوا أعز على العرب من كثير من العرب ، وفى مقدمة هؤلاء سالم مولى أبى حذيفة فالحسن البصرى والإمام البخارى ، وكل من آمن بإيمانهم وسار فى طريقهم ، فكانوا من أئمة الإسلام ، وهم رواة أحاديث رسول الله فى فضل العرب ، وخرجوا من الدنيا وهم يشهدون أن خير خلق الله بعد رسول الله أصحابه من العرب والتابعون لهم بإحسان . فهذا القسم من الموالى هم الذين تعاونوا مع حملة الدعوة الإسلامية من العرب على تعميم هذه الدعوة ، وكانوا معهم إخوانا يوالى بعضهم بعضا . وقسم آخر من الموالى أولهم عبد الله بن سبأ ، ومن بعده أمثال عبدالله بن يسار ، وأبى بكر الكروس ، ورشيد الهجرى ، ومحمد بن أبى زينب ، وجهم بن صفوان ، وشيطان الطاق دخلوا فى الإسلام ليفسدوه على أهله وليبثوا فيه ما ليس منه وليقوضوا سلطانه على الأرض ، فهؤلاء هم الذين كان الصراع قائماً بينهم وبين العرب قبل الدولة العباسية وبعد تأسيسها ، ولو ظهر أمثالهم فى أية دولة مهما كان دينها أو جنسها لاعتبرتهم خونة ، ولأنزلت فيهم من النكال والوبال ما يعد فى جانبه موقف العرب من هذا النوع من الموالى رحمة بل تهاونا وتقصيرا .

وكتاب (الصراع بين الموالى والعرب) للدكتور محمد بديع شريف الملحق الصحفى لسفارة العراق فى مصر يكاد يكون أول كتاب عن الموالى لاحظ هذا الفارق ، واعتبر الصراع بينهم وبين العرب صراعا بين الإسلام وشانئيه ، وصراعا بين دولة الإسلام والعاملين على تقويضها . لذلك كان موفقاً فى بحثه . وكان قد كتبه بالألمانية سنة ١٩٤١ م ، لينال به الدكتوراه من جامعة بازل فى سويسرا ، بعد أن كان قبلها فى جامعة بن بألمانيا .

والكتاب فى تسعة فصول ، أولها : عن العرب والفرس قبل الإسلام وبعده ، الثانى : عن « المولى » ومكانته عند العرب . الثالث : فيما صدر عن الموالى من الأذى منذ اغتالوا أمير المؤمنين عمر إلى آخر أيام بنى أمية . الرابع : عن حركة الموالى فى الدولة العباسية من أبى مسلم إلى نكبة البرامكة . الخامس : عن الموالى فى الإسلام وخطط الخرمية والراوندية والباطنية وضلالة الحلول الخ . السادس : عن دسائس الموالى فى الشعر كالمانوية والمزدكية فى شعر بشار وأبى نواس الخ . السابع : فى البويهيين إلى خلع الطائع وانهيار بغداد . الثامن : فى مقاومة الحمدانيين والمزيدين وابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى . التاسع : فى اليقظة العربية الحديثة إلى ظهور الجامعة العربية .

إن هذا الكتاب محاولة جيدة امتازت بالنظرة الصائبة إلى دخائل التاريخ الإسلامى ، فشكراً لمؤلفه الفاضل على هديته .



من تاريخنا

للأستاذ محمد سعيد العامودى - ١١٦ ص - دار مصر للطباعة

الأستاذ محمد سعيد العامودى من رجال الحركة الفكرية فى المملكة العربية السعودية ، وهو القائم على تحرير مجلة (الحج) الغراء ، وكنا نقرأ له فصولا ممتعة فى مجلة الحج ، وفى مجلة المنهل قبلها ، فصدرت الآن منقحة فى مجموعة لطيفة بهذا العنوان ، تولى تصديرها الأستاذ السيد عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة المنهل المكية ، وإلى القارىء عناوين فصول هذه المجموعة : سياسة المال فى عهد عمر بن الخطاب ، عمر بن الخطاب والضمان الاجتماعى ، من أوليات عمر ، العناصر النفسية فى سياسة العرب ، تاريخ العرب الموجز ، الموالى فى العصر الأموى ، ثم وصف لكتاب مخطوط « موائد الفضل والكرم ، لتراجم أهل الحرم » للشيخ عبد الستار الدهلوى ، يليه فصل عن تاريخ الصحافة فى الحجاز ، وآخر الكتاب فصل عنوانه : هل الحروب تطوى الحضارات .

وقد أحسن الزميل الفاضل فى جمع هذه الفصول ونشرها ، وبعضها مما يخص الحجاز وليس له مرجع آخر ، فشكراً للمؤلف ونرجو له دوام التوفيق .

دقائق العربية

للسيد أمين ناصر الدين ـ ٢٨٠ ص ـ مطبعة الاتحاد فى بيروت

السيد أمين ناصر الدين (رحمه الله) من كبار شعراء العربية الذين يعدون من طبقة حافظ إبراهيم والبارودى . ودواوين شعره الثلاثة : « صدى الخاطر ، والإلهام ، والفلك » تشهد له ـ فوق ذلك ـ بجهاده المتواصل فى سبيل الأخلاق ومقاومة تيار التفرنج والتحلل. وكتابه هذا (دقائق العربية) شاهد جديد على فضل آخر له وهو علمه بأسرار العربية ودقائقها وغيرته عليها . وقد سهر على تأليفه خمسا وعشرين سنة ، فبدأه بباب عن خصائص اللغة العربية ، وآخر للكلام على الاشتقاق ، والنحت ، والأعجمى والمعرب ، والاطراد والشذوذ ، واتفاق الأفعال واختلاف المصادر ، والفصيح والمبتذل ، والفصيح والأفصح ، وباب فى أفعل التفضيل وأحكامه ، وباب فى شتى الدقائق اللغوية ، وباب فى الدقائق البيانية ، وباب فى الدقائق البديعية ، وباب فى الدقائق العروضية ، وباب فيما يجوز فى الشعر دون النثر . وخاتمة فى تراجم موجزة لأشهر أئمة العربية من أبى الأسود وسيبويه إلى الجلال السيوطى .

رحم الله المؤلف ، ووفق الأمة إلى نشر ما لم يطبع من مؤلفاته ؟

الاسلام والشيوعية

للأستاذ عبد المنعم النمر ـ ١٦٨ ص ـ دار الكتاب العربى

يقول مؤلف الكتاب فى فاتحته : « أنا وأنت على اتفاق تام فى وجوب القضاء على عوامل الشكوى والضعف فى مجتمعنا ، وعلى اتفاق تام كذلك فى وجوب الارتفاع بمستوى الفرد ، وإتاحة فرص العمل الإيجابى له ليخدم بلاده وينهض بها ، شاعراً بحريته وكرامته . هذا شىء نتفق عليه . . . ولكن عند الوسيلة نختلف فيسلك البعض طريق الشيوعية ، ويحذو البعض الآخر حذو الاشتراكية العمالية فى بريطانيا ، ويأتى فريق ثالث فيدعو إلى سلوك الطريق القديم ، طريق المسلمين السابقين الذى رسمه القرآن .

والكتاب يدور حول بيان طريق المسلمين السابقين الذى رسمه القرآن ، وموقفه من مجتمعنا وعصرنا ومذاهبه ولا سيما الشيوعية ، وفيه البحث عن التشريع القوى الإسلامى ، وهل للإسلام أن يحكم ؟ وما هو ماضيه فى التشريع ، وما السر فى احتفاظه بقوته وخلوده . يلى ذلك فصول عن الربا ، والتأمين ، والملكية ، والضرائب ، وحماية الفرد فى الدولة ، وأن الإسلام هو الحرية . وتساءل المؤلف فى خاتمة كتابه : كيف نسير ؟ فنلفت إلى هذا الكتاب أنظار الباحثين فى هذا الموضوع .

الأدب والعلوم

المؤتمر الطبي العربي

انعقد فى دمشق المؤتمر الطبي العربي برئاسة الدكتور سليمان عزمى ، واشترك فى بحوثه ومحاضراته أطباء يمثلون الأوطان العربية وختم جلساته فى عيد الأضحى بجلسة كانت أغنى الجلسات من حيث غزارة الموضوعات وأهميتها ، وأعلن الدكتور سليمان عزمى أن مؤتمر هذا العام نجح كثيراً بسبب تحديد الموضوعات وتركيز الاهتمام بشئون السرطان والغدد ذات الإفراز الداخلى ، والصيدلة وغيرها ، مما ساعد الأطباء الإخصائيين على تهيئة موضوعاتهم وعرضها ومناقشتها .

خريجو الأزهر

فى مدارس الدولة

قررت وزارة المعارف العمومية أن خريجى كليتى أصول الدين والشريعة فى الأزهر يستحقون الترقية إلى وظيفة مدرس ثانوى أسوة بزملائهم خريجى كلية اللغة العربية ، مع مراعاة تقديراتهم والشروط الأخرى التى تطبق على زملائهم .

النتائج السيئة للامتحانات

كان لانخفاض نسبة النجاح فى نتائج شهادتى الثقافة والتوجيهية هذا العام أثره السيء فى نفوس الطلبة وأولياء أمورهم . ويقول المدير العام لمراقبة التعليم فى الإسكندرية معللا أسباب هذا الانخفاض :

لوحظ فى السنوات الأخيرة ازدياد عدد التلاميذ نتيجة للإقبال على التعليم ، فترتب على ذلك اشتداد الضغط على المدارس حتى أصبحت المدرسة تستقبل ضعف العدد المقرر لها ، فبلغ عدد التلاميذ فى الفصل الواحد نحو خمسين تلميذاً مما لا يمكن معه لأى مدرس أن يقوم بواجبه ، كما أن أجهزة المعامل لا تتحمل هـذه الزيادة . وكان لا بد إزاء ذلك من توفير العدد الكافى من المدرسين ، وقد اقتضى الأمر ترقية عدد من مدرسى المدارس الابتدائية إلى المدارس الثانوية قبل النضوج الكافى لسد الحاجة إلى المدرسين بالثانوى ، فكانت النتيجة أن معظم هؤلاء المدرسين تكاد سنهم تقارب سن الطلبة الذين يدرسون لهم ، وقد تبين أن عدداً كبيراً من

التلاميذ يتغيبون عن حضور الدروس فى الأشهر الأخيرة من العام الدراسى بحجة الاستذكار فى المنازل ، فى حين أن مراجعة الدروس مع المدرسين فى آخر العام لا تقل عنها أهمية فى أوله .

وشكا المراقب العام لمراقبة التعليم فى الإسكندرية إهمال الأسرة وأولياء الأمور مراقبة الأبناء فى هذه الأيام ، وعدم تتبع تصرفاتهم .

الآثار الإسلامية

شكا الدكتور بشر فارس - فى مقال له نشرته الأهرام - من إهمال واقع فى دار الكتب المصرية لآثار إسلامية تعد من لطائف الذوق ورقائق الحسن ، وهى المخطوطات العربية ذوات الخط البهيج والنقش الرائق والصور المنمنمة . وبعد أن وصف ما هو واقع عليها من إهمال قال : ولا سبيل إلى النجاح ، لأن وزارة المعارف تعنى بالرياضة البدنية فوق عنايتها باللطافة الفنية ، ولأن دار الكتب لا تجد فى لوائحها المالية ما يمكنها من صيانة ذخائرها ، ولأن مصلحة الآثار مشغولة بفرعون عن غيره . قال : وبسبب هذا التهاون من جانب وزارة المعارف ، وهذا العجز المالى من جانب دار الكتب ، وهذا الشغل الشاغل من جانب مصلحة الآثار ستبلى نفائس إسلامية فيها المصاحف الباهرة والصور الفاتنة ، وكلها ملك الأمة .

العربية فى باكستان

قررت الحكومة الكويتية إقامة مدرستين فى كراتشى لتعليم اللغة العربية ونشرها فى الباكستان . وكانت الحكومة الباكستانية قد رحبت بهذا المشروع وتبرعت له بالأرض التى تقام عليها هاتان المدرستان .

أستاذ أتاتورك

لأتاتورك أساتذة عند ما كان فى دراسته الابتدائية فالثانوية وفى المدرسة الحربية ، ولكن الأستاذ الذى تحدثوا عنه أخيراً لم يكن من هؤلاء ، بل هو أحدث سناً من أتاتورك ، وهو صحفى أديب من دعاة الخروج على الإسلام واسمه ضيا كوك آلب ، وكانت مقالاته فى الجرائد والمجلات هى التى دفعت أتاتورك للتخلى عن أنظمة الإسلام ، والجنوح للالتحاق بمركبة الغرب فى أنظمته ومظاهره وأهدافه .

وقد أعلنت جامعة أنقرة أن نيازى بركس شرع فى ترجمة مؤلفات ضيا كوك ألب من اللغة التركية إلى اللغة الإنجليزية باعتبارها ذات التأثير فى كيان تركيا الحاضر . وقد كان لذلك وقع بهيج فى الأوساط الأوربية ، والأمريكية وأذاعت شركة برقيات أسوتياتد برس برقية بذلك من مونتريال فى كندا .

وعندنا أن أتاتورك لم يكن فى حاجة إلى التأثر بكتابات ضياكوك ألب ، لأن الانقلاب فى تركيا ليس انقلابا فردياً ، ولولا أن لأتاتورك مئات من المثقفين أيدوه فى عمله ودفعوه واندفعوا معه فى تحويل تركيا من الاتجاه الإسلامى إلى الاتجاه الغربى وسهروا على مواصلة ذلك بعد موت أتاتورك ، لكان لتركيا عودة بالدولة إلى الإسلام بعد ذلك . وقد رأينا تركيا قد تعاقب عليها أحزاب متعددة ولا تزال مصرة إلى الآن على موقفها الرسمى من الإسلام .

زيادة السكان فى العالم

يؤخذ من بيانات إحصائيـة أعدتها الأمم المتحدة أن الزيادة السنوية للسكان فى مختلف أنحاء الأرض تقدر بحوالى ثلاثين مليون نسمة فى كل سنة . ومن المعلوم أن الزيادة تنمو مع الزمان ، وسيأتى وقت قريب تتجاوز فيـه هذا الرقم .

وهنـالك محاولات اقتصادية تبذل لرفع مستوى المعيشـة والتغذية باتخاذ الأسباب للزيادة فى المواد الغذائية . لكن نسبة الزيادة فى تعداد السـكان تطغى على نسبة الزيادة فى مواد الغـذاء ، لذلك يتوقع بعض المراقبين العالميين أن تبوء بالفشل المحاولات الاقتصادية التى تتخذ لمواجهة الزيادة فى تعداد السكان .

اليهود فى العالم

إن هذا العنصر الذى يزعج الإنسانية ، بما رسمه لنفسه من خطة (المخالطة والمزايلة) فى كل أمة من أممها وكل وطن من أوطانها ، فيفرض نفسه أمريكياً فى أمريكا وهو مع ذلك يهودى ، ويفرض نفسه سوفيتياً فى الاتحاد السوفيتى وهو مع ذلك يهودى ، ومصرياً فى مصر وهو مع ذلك يهودى - إن هذا العنصر المزعج لا يزيد تعداده فى الدنيا على ١١ مليوناً و ٦٧٢ ألفاً و ١٨ شخصاً حسب آخر تعداد له فى سنة ١٩٥٢ . وإنما سخر أمريكا لإرادته وأهوائه وضلالاته لأن قريباً من نصف اليهود فى العالم موجود فى أمريكا ولا سيما فى نيويورك التى فيها من هذا الشعب أربعة أضعاف ما يوجد منه فى دولة إسرائيل . فاليهود فى أمريكا خمسة ملايين ، وفى الاتحاد السوفيتى مليونان ، وفى إسرائيل مليون و ٤٥٠ ألفاً ، وفى دول أوربا الشرقية المتحالفة مع روسيا ٤٠٠ ألف ، وفى المغرب ٢٦٠ ألفاً وفى أرتريا ٢٢٠ ألفاً ، وفى هونج كونج ٢٠٠ ألف ، وفى ألبانيا ١٥٠ ألفاً ، وفى الصين الشيوعية ١٢٠ ألفاً ، وفى مالطة ١٠٠ ألف وفى أفريقية الجنوبية ١٠٠ ألف ، وفى استراليا ونيوزلندا ٥٥ ألفاً ، وفى سيام ٥٥ ألفاً ، وفى الهند الصينية ٥٥ ألفاً ، وفى مصر ٥٠ ألفاً وفى باكستان ٤ آلاف ، وفى أندونيسيا ١٢٠٠ وبقيتهم موزعون فى اليمن والبحرين وسنغافورة وكينيا وبلاد أخرى .

أنباء العالم الإسلامي

اتفاقية الجلاء عن مصر

فى جلسة تاريخية وقعت مصر وبريطانيا بالأحرف الأولى فى يوم الثلاثاء ٢٧ ذى القعدة الماضى (٢٧ يوليه) اتفاقا على الأسس التى ستقوم عليها اتفاقية جديدة بين البلدين بشأن القاعدة الحربية على قناة السويس . وقد تضمنت هذه الأسس جلاء القوات البريطانية عن مصر فى خلال عشرين شهراً ، على أن تتولى شركات مدنية مصرية أو بريطانية صيانة منشآت القاعدة بعد الجلاء . ويسرى الاتفاق حتى نهاية سبع سنوات من تاريخ توقيعه . وتتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهراً الأخيرة من هذه المدة لاتخاذ ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق . وستبقى بعض أجزاء القاعدة فى حالة صالحة وفق الحاجة المبينة فى ملحق . وفى حالة حدوث هجوم مسلح من دولة أجنبية على مصر أو على أى بلد عربى يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً فى معاهدة الدفاع المشترك بين الجامعة العربية - أو على تركيا - تقدم مصر للملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة ، وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانىء المصرية فى حدود الضرورة القصوى للأغراض السالفة الذكر . ويتم جلاء جميع القوات البريطانية عن الأراضى المصرية فى مدة لا تزيد على عشرين شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق . ويقرر هذا الاتفاق أن قناة السويس التى تعد جزءاً لا يتجزأ من مصر هى طريق مائى له أهمية دولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية . ويصمم كلا الطرفين على احترام اتفاق سنة ١٨٨٨ الذى يكفل حرية الملاحة فى القناة .

كتلة إسلامية عالمية

أدى الرئيس جمال عبد الناصر فريضة الحج فى هذا العام . ولما كان فى منى وجدة قام باتصالات ومباحثات مع المسؤلين المسلمين الذين حضروا موسم الحج أسفرت عن نتائج سياسية لجمع كلمة المسلمين على عقد مؤتمر إسلامى دائم يقوم بإعداد سياسة إسلامية ثابتة بعيدة المدى لرعاية مصالح الشعوب الإسلامية والدفاع عن حريتها

وتكوين كتلة إسلامية عالمية يكون لها وجود إنسانى يعتد به بين المعسكرين الشرقى والغربى ، تضع سياستها مع الجهتين فى ضوء مصلحتها ومصلحة شعوبها وحدها .

ومن المباحثات التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر العمل لتدعيم الجامعة العربية وإزالة الخلاف بين دولها الشقيقة وبين الأسرتين الكريمتين السعودية والهاشمية ، وبالفعل سافر الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى إلى بغداد للاتصال بجلالة الملك فيصل لهذا الغرض .

وقد رحب جلالة الملك سعود بفكرة عقد المؤتمر الإسلامى بمكة ، وأبدى استعدادا كبيرا لتحقيق هذه الفكرة بجميع الإمكانيات التى يمكن للحكومة السعودية تقديمها . وستخصص دار كبيرة فى مكة لاجتماع المؤتمر السنوى ، وسينزل جميع وفود هذا المؤتمر فى ضيافة الحكومة السعودية التى ستقدم جميع التسهيلات والمساعدات اللازمة لأعمال المؤتمر .

وإن مصر مستعدة لفتح اعتماد مالى كبير للإنفاق على أعمال التحضير للمؤتمر وتخصيص دار كبيرة فى القاهرة لأعماله .

الملاحة المصرية

كان من أثر التعاون بين المجلس الدائم لتنمية الإنتاج، والمجلس الأعلى للنقل البحرى وشركات الملاحة المصرية ، أن تم توحيد الشركات المصرية الثلاث بعنوان « اتحاد شركات الملاحة المصرية » فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥٣ ، وكان نتيجة لتكوين هذا الاتحاد ، ونتيجة للامتيازات التى خصته بها الحكومة أن تمكن من الحصول على تعهدات لنقل بضائع مختلفة لمصلحة السكة الحديد ووزارة التموين ووزارة الحربية .

ولما كان الحوض الجاف الوحيد الموجود الآن بالإسكندرية لا يتسع إلا للبواخر المتوسطة التى لا تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن ولا يزيد طولها عن ٥٠٠ قدم ، وبما أن قواتنا البحرية قد وضعت برنامج دعم أسطولها على أساس بناء ٥٢٠٠٠ طن فى السنوات الخمس المقبلة ، ومصلحة الموانى والمنائر تحتاج للنهوض ببرنامج توسعها إلى ما تقدر حمولته بنحو ١٢ ألف طن من الكراكات والسفن والقاطرات خلال العشر السنوات المقبلة ، ومصلحة السواحل تحتاج إلى التوسع فى وحداتها ، والجامعة العربية مقدمة على بناء أسطول تجارى تربو حمولته على ٢٢٠ طناً . . . الخ . لذلك أصبحنا أمام ضرورة جديدة للمبادرة بإنشاء حوض جاف جديد فى ميناء الإسكندرية تكفى سعته

لاستيعاب أكبر السفن حجما حسب أحدث التصميمات ، وبذلك تتمشى نهضتنا الملاحية مع نهضتنا الصناعية والعمرانية .

زيادة الجيش المصرى الى الضعف

أذيع أن فى النية زيادة قوة الجيش المصرى إلى ضعف القوة الحالية من الرجال والسلاح فى خلال عام واحد . وقد أعدت قيادة الجيش مشروعا ضخما بتفاصيله وسيوضع موضع التنفيذ فور تسلم الأسلحة التى كان الجيش المصرى ممنوعا من استيرادها .

وسيكون لكل قرية من قرى مصر وحدات من الجيش الإقليمى ترابط فيها باستمرار .

النهضة الصناعية

تألفت شركة برأس مال قدره ٣ ملايين جنيه لإنشاء مصنع ينتج ٢٢٠ ألف طن من الحديد والصلب ، وسيدعى الشعب للمساهمة فى هذا المشروع لإبلاغ رأس ماله إلى ١٧ مليون جنيه .

ودعت مصر الشركات العالمية لإنشاء مصنع لسماد النشادر تبلغ تكاليفه ٢٢ مليون جنيه وينتج ٢٧٠ ألف طن .

ودعت الشركات العالمية لتقديم عروض لإنشاء مصنع لورق الطباعة والكتابة يتكلف إنشاؤه ثلاثة ملايين جنيه ، وينتج ٣٠ ألف طن من الورق .

ميزاننا التجارى

كان العجز فى ميزاننا التجارى قبل سنتين ٨١ مليون جنيه فهبط فى نهاية السنة الماضية إلى ٣٨ مليوناً ، وقد استهلكت مصر هذا العجز وفاض منه فائض قدره ١٤ مليوناً فى الثلث الأول من هذه السنة .

الاصلاح العمرانى

اعتمد مبلغ خمسة ملايين و٥٠٠ ألف جنيه لتنفيذ المرحلة الأولى من برنامج تعميم مياه الشرب النقية فى جميع أنحاء البلاد المصرية .

ومبلغ ١٣ مليون جنيه لتوسيع شبكة المواصلات . وسينشأ ٤١٧٠ سريراً و ١٧٧ وحدة للأمراض المتوطنة فى مديرية الشرقية والمنيا ، ومستشفى للسرطان ، وآخر للموظفين ومستشفيات للعمال .

مشروع السنوات الخمس

تبلغ تكاليف مشروع السنوات الخمس الذى اعتمده مجلس الإنتاج نحو مائتى مليون جنيه ، وسيزداد بذلك الدخل القومى بنسبة ٣٠ ٪ على الأقل بالنسبة لما كان عليه فى سنة ١٩٥٢ وسيسفر عن تشغيل ٣٠٠ ألف عامل فى السنة .

إمكانيات هائلة

لتعاون إسلامى

يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى (فلسفة الثورة) :

« حين أسرح بخيالى إلى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون وأكثر من مائة مليون فى الباكستان ، وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة ، حين أسرح بخيالى إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج بإحساس كبير بالإمكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع . ولكنه يكفل لهم ولإخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة » .

هل مات الاستعمار؟

تقول جريدة (نيويورك تايمز) : إن خبراء وزارة الخارجية الأمريكية يعتقدون أن اتفاق قناة السويس ، وهزيمة فرنسا فى الهند الصينية ، ليس لهما سوى معنى واحد وهو موت الاستعمار البريطانى والفرنسى فى إفريقيا وآسيا . ويعتقد كبار موظفى وزارة الخارجية الأمريكية أنه ستحدث تطورات أخرى فى الشرق الأوسط وآسيا تزيد هذا المعنى تأكيداً .

منع الأحداث

من دخول السينما والمسرح

وافق مجلس الوزراء على قانون يمنع الأحداث من الجنسين - ممن تقل سنهم عن ست عشرة سنة - عن دخول دور السينما وما يماثلها لمشاهدة ما يعرض فيها من الأشرطة السينمائية وغيرها ، وذلك بعد أن لاحظت وزارة الشئون الاجتماعية أن السينما والمسارح تقوم بالفعل بدور خطير فى شتى نواحى الحياة الاجتماعية ، على أساس أنها أداة للتهذيب ، ووسيلة من وسائل التسلية وتمضية أوقات الفراغ . غير أنها قد تكون من أخطر الوسائل فى انحراف الأفراد ذوى النفوس الضعيفة ، أو الأحداث الذين لم يكتمل نضج عقولهم ، بالقدر الذى يسمح لهم بتفهم ما يعرض عليهم الفهم الصحيح . كما لاحظت الوزارة انتشار بعض الجرائم بين الشباب فى مصر نتيجة لما تصوره لهم عقولهم القاصرة على أثر ما يشاهدونه فى مثل هذه الدور .

وقد أحسن مجلس الوزراء كل الإحسان بالموافقة على هذا القانون كما أحسنت وزارة الشئون الاجتماعية كل الإحسان باقتراحه والتقدم بمشروعه إلى مجلس الوزراء.

لكن المشاهد أن أكثر الذين تأثروا بالسينما فانتشرت الجرائم بينهم إنما هم من الذين تزيد سنهم عن ست عشرة سنة، والشر شر على كل حال، سواء تعرض له هؤلاء أو هؤلاء، ومما يحتاج إلى شجاعة أنصار الحق والخير فى التصريح به أن يقال للحكومة: إن فى عنقها الولاية على هذا الشعب نساء ورجالا، وإن الشر الذى تحمله أفلام السينما يفتك بالكبار والصغار بلا استثناء، وإنقاذ الأمة من مشاهد السينما التى تثير الغرائز وتشجع على الشر لا يقل - فى باب الإصلاح - عن إنقاذها قبل ذلك من الإقطاعيين والاستغلاليين. فهل لها أن تسن قانونا يجعل السينما أداة خير لا شر فيه؟ إنها إن فعلت تحسن بذلك كل الإحسان.

تعداد سكان الإسكندرية

كان تعداد سكان مدينة الإسكندرية ٦٧٥٧٣٦ فى سنة ١٩٣٧، وما زال ينمو بنسبة ٢٫ ٪ فى كل سنة حتى بلغ ٩١٩٠٢٤ فى سنة ١٩٤٧، وتدل الإحصائيات الحديثة التى قامت بها بلدية الإسكندرية على أن عدد سكان تلك المدينة بلغ فى هذا العام مليونا و ١٠٥ آلاف نسمة.

الموجات الكهربائية
ذات التردد الصوتى

من بين النظم التى يحتمل أن تتبع فى شبكة القاهرة الكهربائية نظام التحكم عن بعد بواسطة موجات ذات تردد صوتى. والغرض من هذا النظام التحكم فى بعض العمليات، مثل إنارة الشوارع، وإطلاق صفارات الإنذار جميعاً فى وقت واحد، وتغيير التعريفة فى العدادات ذات التعريفتين، والحد من استعمال بعض الأجهزة عند المستهلكين فى أوقات حدوث أقصى حمل مثل تسخين المياه وإنارة واجهات المحلات وغيرها، وهذا النظام موضع دراسة الآن لتطبيقه على شبكة القاهرة الجديدة ذات الضغط ٦٣ ك. ف.

وإن الاتصال بمصادر القوى فى الجنوب عند أسوان، وإمكان استخدام الفائض منها فى تغذية مدينة القاهرة متوقف على الناحية الاقتصادية فى المشروع، وعلى ما يمكن إفادته من التطورات فى نقل القوى الكهربائية الكبيرة لمسافات طويلة.

فهرس

الجزء الأول — المجلد السادس والعشرون

مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الأزهر

مرتين فى كل شهر عربى

سنتها ٢٠ عددا

متعهدو المجلة فى الخارج

الشركة السعودية للصحافة والتوزيع

٥٩ شارع ابراهيم باشا بالقاهرة

دار الكتب العربية الشرقية فى تونس

لصاحبها محمد خوجة

شركة فرج الله للصحافة والتوزيع

شارع ابراهيم باشا بالقاهرة

سالم عوض سعيد باسواد

عميل المجلة مقديشو صوماليا

زكى . ج . بطليدوس

عميل المجلة الخرطوم سودان

مطبعة الأزهر

الثمن ٢٠ مليما